صورة قادة الروم
بين
المتنبى وأبى فراس
دراسة وموازنة

إعداد
الأستاذ الدكتور
محمد محمد الغرباوى
أستاذ الأدب والنقد المساعد
فى كلية اللغة العربية بالزقازيق

صورة قادة الروم بين المتنبى وأبى فراس دراسة موازنة

إعداد الأستاذ الدكتور
محمد محمد الغرباوى
أستاذ الأدب والنقد المساعد بالكلية

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين والمرسلين، سيدنا ومولانا محمد، وعلى آله وصحبه الكرام البررة، ومن اتبع هديه، وسار على نهجه إلى يوم الدين ..

وبعد ، فما زال التاريخ يلهج بفضائل سيف الدولة ، ويثنى على دفاعه عن دولة الإسلام، متمثلة فى مملكة حلب التى ذاع صيتها بحكامها، وقادتها العسكريين، وأدبائها وشعرائها الذين تغنوا بفضائل هذا البطل العربى الكبير .

وممن أشاد بانتصارات الرجل: أبوالطيب المتنبى، وأبوفراس الحمدانى، وكانا يتمتعان بمكانة مرموقة لدى سيف الدولة، فالأول شاعره الأثير، والثانى قائد حروبه وابن عمه وصهره .

ولم يكتف الشاعران بالإشادة بسيف الدولة وتعداد مكارمه، بل وصفا حروبه مع الروم التى امتدت أعواما طويلة، وأشادا بانتصاراته، وسفها آراء أعدائه، وسخرا من قادة الروم المهزومين فى كثير من أشعارهما المدوية؛ طلبا للبطولة، واحتقارا للنكوص فى المعارك، أو الفرار من الميدان .

وقد قمت فى هذه الدراسة بجمع أشعار الشاعرين التى صورت قادة الروم حالى السلم والحرب ، ودرستها دراسة موضوعية فنية، ووازنت بين الشاعرين فى أوجه الاتفاق

الموضوعى والفنى، وأعطيت كل شاعر ما يستحق من المكانة الشعرية فى هذا الجانب.

والله من وراء القصد، وهو الهادى إلى سواء السبيل

أ.د/ محمد محمد الغرباوى
أستاذ الأدب والنقد المساعد بالكلية

الشاعران وسيف الدولة فى حروب الروم

أبو الطيب المتنبى(ت٣٥٤هـ)وأبوفراس الحمدانى(ت٣٥٧هـ) شاعران لا يشق لهما غبار فى حلبة الشعر العربى، ويتميز أبوفراس عن المتنبى بإتقان الفروسية، وقيادة المعارك بمهارة عسكرية. وشجاعة عبقرية فى وقت جبن فيه كثير من قادة الجيوش العربية.

أما سيف الدولة، على بن حمدان (ت٣٥٨هـ)، فهو القائد العربى والفارس الشاعر،الذى كان ــ خاصة من بنىحمدان ــ"أكثرهم دهاء وأوسعهم حيلة، وأشدهم حبا للعرب ودينهم، وأكثرهم سعيا فى رد الحكومة والسلطان إلى العرب ... وكان مبغضا للأعاجم ولسانهم الذى أرادوا أن يغلبوا به على فارس وغيرها كما فعل بنو بويه"(١).

وهو "أعظم بطل عربى تألق نجمه فى سماء الحروب الرومية. إذ تحول بجنوده إلى ما يشبه سدا ضخما يصد سيول الروم، بل إنه حول ديارهم وأوديتهم إلى حرائق تسيل من تحتها دماؤهم المسفوحة، وكأنما تجسدت فى ضميره البطولة العربية بكل أمجادها الحربية"(٢).

وقد خاض سيف الدولة حروبا كثيرة مع الروم طوال عشرين سنة، بدأ هذه المعارك "وهو صغير السن، فاقتحم بلاد الروم وتوغل إلى "حصن زياد" وفتحه وهو لا يكاد يبلغ الخامسة والعشرين. وانطلق بعدها بعامين على "قاليقلا" ثم إلى "قلونية" فأحرقها وفتحها وكتب إلى ملك الروم مستهزئا به وبمنعة بلاده"(٣).

---

(١) المتنبى ــ محمود شاكر ص١٨٨، ١٨٩ ــ مطبعة المدنى ــ القاهرة ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م.

(٢) البطولة فى الشعر العربى د/ شوقى ضيف ص٧٠، ٧١ ، دار المعارف بمصر ١٩٨٤م.

(٣) سيف الدولة الحمدانى ــ د/مصطفى الشكعة ص٥٥ ــ مكتبة المتنبى ــ القاهرة ــ الطبعة الثانية ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م.

وترجع الحروب بين العرب والروم إلى عهد بعيد، منذ الخلافة الراشدة، حيث سحق العرب الروم سحقا فى عهود أبى بكر، وعمر، وعثمان ــ رضى الله عنهم ــ واستمرت فى العهود الإسلامية حتى بلغت ذروتها فى العصر العباسى ــ وخصوصا فى القرن الرابع الهجرى ــ فى عهد سيف الدولة الذى خاض حروبا متعددة مع الروم، وانتصر عليهم فى كثير من معاركه ضدهم.

وكان لحكام الروم وقوادهم ألقاب تطلق عليهم، ويشتهرون بها، وذلك كلقب "الدمستق"، وهو لقب إمبراطور القسطنطينية، ومعناه: الخادم الأعظم لجيش الشرق، أو القائد الأعظم لجيش آسيا.

وكذلك لقب "البازيل"، وهى كلمة تقال لكل عاهل على القسطنطينية[1].

نشأ سيف الدولة يتيما، حيث قتل أبوه، وهو صغير، ثم رباه أخوه ناصر الدولة، ثم أصبح فارسا مغوارا، ولما آلت إليه مقاليد الحكم لفت انتباه الشعراء فتجمعوا حوله من كل صوب وحدب، وكان من أبرزهم، المتنبى، وابن عمه أبوفراس الذى قتل أبوه أيضا وهو صغير، فتعهده سيف الدولة بالرعاية حتى شب فارسا مغوارا، فقلده إمارة "منبج" بجانب قيادة معاركه ضد الروم والخارجين من العرب.

لهج الشاعران بفضل سيف الدولة، وتغنيا بمناقبه الأخلاقية والعسكرية، ففاض شعرهما بكثير من الصفات التى تصور سيف الدولة رجلا منقطع النظير فى الكرم، والعلم، والفضل، والشجاعة.

صحب المتنبى سيف الدولة ثمانى حجج، وكان أول لقاء للمتنبى بسيف الدولة فى سنة ٣٣٧هـ، واستمرت هذه الصحبة حتى سنة ٣٤٦هـ، أفاد منها الأدب العربى مجموعة من القصائد

(١) انظر: المتنبى مالئ الدنيا وشاغل الناس لـ: محمد التونجى ص٨٦ وما بعدها، سيف الدولة للدكتور/ مصطفى الشكعة ص٥٥ وما بعدها.

والمقطعات وقعت فى اثنى عشر وخمسمائة وألف بيت فى ثمان وثلاثين قصيدة، وإحدى وثلاثين قطعة؛ نظم منها أربع عشرة قصيدة فى وقائعه مع الروم، وأربع فى وقائعه مع العرب، خمس عشرة فى المدح المجرد عن وصف الوقائع، خمس فى الرثاء، ومن القطع: اثنان فى حوادث الروم، والباقى فى مقاصد مختلفة، يضاف إلى كل هذا قصيدة:

ذكر الصبا ومراتع الأرام ∴ جلبت حمامى قبل يوم حمامى

نظمها الشاعر سنة إحدى وعشرين وثلثمائة فى ثلاثة وثلاثين بيتا وألحقها بمدائح سيف الدولة؛ وقد مدح الشاعر سيف الدولة غير ذلك بقصيدتين، وعزاه عن أخته بأخرى، وذلك بعد أن رجع إلى العراق[1].

أما القصائد الأربع عشرة التى فى حروب الروم فهى كالتالى:

اثنتان فى سنة ٣٩٩هـ، وهى قوله:

لهذا اليوم بعد غد أريج ∴ ونار فى العدو لها أجيج

وقوله:

غيرى بأكثر هذا الناس ينخدع ∴ إن قاتلو جبنوا أو حدثوا شجعوا

واثنتان فى سنة ٣٤٠هـ ، وهى قوله:

نزور ديارا ما نحب لها مغنى ∴ ونسأل فيها غير سكانها الإذنا

وقوله فى وقعة "خرشنة" :

عواذل ذات الخال فى حواسد ∴ وإن ضجيج الخود منى لماجد

وقصيدتان، ومقطعة فى سنة ٣٤١هـ، فالقصيدة الأولى قوله فى وقعة "مرعش":

فدنياك من ربع وإن زدتنا كربا ∴ فإنك كنت الشرق للشمس والغربا

والقصيدة الثانية قوله:

لعينيك ما يلقى الفؤاد ومالقى ∴ وللحب ما لم يبق منى وما بقى

(١) انظر: مقدمة شرح ديوان المتنبى للبرقوقى ص٣٨، ٣٩ .

والمقطعة تقع فى ثلاثة أبيات ارتجلها ارتجالا، وتبدأ بقوله:

لقيت العفاة بآمالها ∴ وزرت العداة بآجالها

وقصيدة فى سنة ٣٤٢هـ، وهى قوله فى وقعة "مرعش" حين أسر "قسطنطين" ابن القائد برداس فوكاس:

ليالى بعد الظاعنين شكول ∴ طوال وليل العاشقين طويل

وثلاث قصائد فى سنة ٣٤٣هـ، هى قوله ارتجالا:

ظلم لذا اليوم وصف قبل رؤيته ∴ لا يصدق الوصف حتى يصدق النظر

وقوله:

دروع لملك الروم هذى الرسائل ∴ يرد بها عن نفسه ويشاغل

وقوله فى قلعة الحدث التى قاد معركتها برداس فوكاس:

على قدر أهل العزم تأتى العزائم ∴ وتأتى على قدر الكرام المكارم

وقصيدتان فى سنة ٣٤٤هـ، أولاهما قوله:

أراع كذا كل الأنام همام ∴ وسع له رسل الملوك غمام

وقوله فى قلعة الحدث أيضا:

ذى المعالى فليعلون من تعالى ∴ هكذا هكذا وإلا فلا لا

وآخر قصيدتين فى سنة ٣٤٥هـ، الأولى قوله فى "آمد":

الرأى قبل شجاعة الشجعان ∴ هو أول وهى المحل الثانى

والثانية آخر ما أنشد بين يدى سيف الدولة فى حلب، وهى قوله:

عقبى اليمين على عقبى الوغى ندم ∴ ماذا يزيدك فى إقدامك القسم[1]

وأما القطعة الثانية التى أشار إليها البرقوقى، فهى القطعة التى قالها المتنبى حينما توسط سيف الدولة جبالا بطريق (آمد) ، وهى قوله:

يوم ذا السيف آماله ∴ ولا يفعل السيف أفعاله
إذا سار فى مهمه عمه ∴ وإن سار فى جبل طاله
وأنت بما نلتنا مالك ∴ يثمر من ماله ماله

(١) انظر: ديوان المتنبى بشرح العكبرى،البرقوقى،كتاب: مع المتنبى، طه حسين ص٢٢٤ : ٢٢٨، دار المعارف بمصر الطبعة الثالثة عشرة ١٩٨٦م.

كأنك ما بيننا ضيفم .·. يرشح للفرس أشباله[1]

وقد أحس المتنبى "أن سيف الدولة هو الأمل الذى ظلت تمخضه العصور للعرب، وظلوا يبحثون عنه طوال أيامهم ولياليهم، أو قل أحس كأنه منقذ أرسلته العناية الإلهية ليرد عنهم عدوان المغيرين البيزنطيين فى عصر خارت فيه قوى الخلافة العباسية ولم يعد لها حول ولا قوة ولا من القدرة شئ"[2].

لكل هذا صحبه المتنبى، وأعجب به، وأبدع فى مدائحه وتصوير معاركه ·

وهناك قصائد أخرى أشار فيها المتنبى إلى الروم، ولم يذكرها الدكتور/ طه حسين، كما لم يدرجها البرقوقى ضمن قصائد سيف الدولة، وسنشير إليها فى أثناء الاستفادة منها على صفحات البحث[3].

وصحب أبوفراس سيف الدولة بعد مقتل والده، وهو ابن ثلاث سنين، فرعاه رعاية فائقة، وقربه منه، وقلده منبج، ثم حمص مع قيادة الجيش، أضف إلى ذلك أنه أمير حمدانى، وابن عمه، وخال أولاده، وشاعره المنافس للمتنبى·

جمع شعر أبى فراس فى ديوان متوسط الحجم، ولم يلق من العناية والشرح ما لقيه شعر المتنبى، وطبع الديوان أكثر من مرة. لكن الطبعة التى اعتمدناها هى طبعة دار صادر برواية أبى عبدالله الحسين بن خالويه ·

يدور شعر أبى فراس فى أغرض متنوعة، إلا أن أبرزها فى ديوانه: الفخر والحماسة، مديح سيف الدولة والإشادة بشجاعته

---

(١) ديوان أبى الطيب المتنبى بشرح العكبرى ٣/ ٦٥ ·
(٢) البطولة فى الشعر العربى د/شوقى ضيف ص٧١ ·
(٣) انظر ديوان المتنبى بشرح العكبرى ١/ ٩٧، ٢٨١، ٢/١٧٣، ٣/٨٠، ٣٢٥، ٤/ ٨١ ·

وانتصاراته على الروم والعرب الخارجين، الحديث عن آلامه فى الأسر حينا وتماسكه حينا آخر والإشارة إلى تأخر افتداء سيف الدولة له، الغزل والحديث عن أيام الصبا ومراتع اللهو، رثاء بعض المقربين منه.

أفرد أبوفراس بعض القصائد والمقطعات للحديث عن الروم فى الحرب، والسلم، والأسر، وخلط كثيرا من هذا الحديث بأغراض كثيرة فى شعره المبثوث فى ديوانه.

ومن أبرز القصائد التى أفردها للحديث عن حروب الروم، قصيدة (أتزعم يا ضخم اللغاديد) يناظر بها الدمستق وهو فى أسره. وتقع فى ثمانية عشر بيتا، وتبدأ بقوله:

أتزعم يا ضخم اللغاديد أننا ∴ ونحن أسود الحرب لا نعرف الحربا[1]

وكذلك قصيدة (إن زرت خرشنة أسيرا) التى قالها فى "خرشنة" لما اقتيد إليها أسيرا قبل أن يحمل إلى القسطنطينية، وتقع فى عشرة أبيات، وتبدأ بقوله:

إن زرت "خرشنة" أسيرا ∴ فلكم أحطت بها مغيرا[2]

ومن المقطعات التى خصصها للروم، مقطعة (أسرت) يخاطب فيها "أبا العشائر"[3] لما أسر، يقول فيها:

أسرت فلم أذق للنوم طعما ∴ ولا حل المقام لنا حزاما[4]

---

(١) ديوان أبىفراس ص٣٢ ــ دار صادر بيروت ــ الطبعة الثانية ٢٠٠٥م.

(٢) ديوان أبى فراس ص١٥٥ ، وخرشنة ــ قلعة فى بلاد الروم يجرى الفرات من تحتها.

(٣) هو الحسين بن على بن حمدان، ابن عم سيف الدولة وأمير أنطاكية من قبله، وهو الذى نزل عليه المتنبى فأوصله إلى سيف الدولة، كان شجاعا فارسا مغوار، ومدحه المتنبى بقصائد كثيرة، أشاد فيها ببطولته فى الحروب، كما ذكره أبوفراس فى أشعار كثيرة، أسرته الروم فى إحدى المعارك، انظر: الصبح المنبى ص٦٨ هامش(٥) وانظر القصائد فى ديوانى المتنبى وأبىفراس.

(٤) ديوان أبى فراس ص٢٥٣ .

كما خلط كثيرا من شعره الخاص بالروم بشعر آخر، ومن أبرز ذلك مطولته التي بلغت ٢٢٥ بيتا بعنوان "لعل خيال العامرية، وأكثر فيها من الفخر بالحسب والنسب والمحتد، ومديح سيف الدولة، وتبدأ بقوله:

لعل خيال العامرية زائر ∴ فيسعد مهجور ويسعد هاجرا[1]

ومن القصائد التي تداخلت أغراضها، قصيدة (ما كنت نهزة آخذ)، يصور بها أسر أبي العشائر، ويخلط فيها بين الحديث عن نفسه، وعن أبي العشائر، وعن الروم، وهو تداخل مقبول؛ لاتحاد الأغراض، وبدأها بقوله:

أأبا العشائر إن أسرت فطالما ∴ أسرت لك البيض الخفاف رجالا[2]

فالشاعران كبيران، وقد اجتمعا في مجالس سيف الدولة مع كثير من الشعراء، غير أنهما كانا كفرسي رهان، ولم يثبت للمتنبي سوى أبي فراس، وكان يوغر عليه صدر سيف الدولة في كثير من الأحيان، فقال له مرة: "إن هذا المتمشدق كثير الإدلال عليك، وأنت تعطيه كل سنة ثلاثة آلاف دينار، عن ثلاث قصائد، ويمكن أن تفرق مائتي دينار على عشرين شاعرا يأتون بما هو خير من شعره"[3].

وتذهب الرواية إلى تأثر سيف الدولة بهذا الكلام، وظل الموقف يحتدم بين الشاعرين حتى استطاع المتنبي أن يحظى برضا الأمير، ويعجب ببيت للمتنبي فيرضى عنه ويقبل رأسه ويجيزه بألف دينار، ثم يردفه بألف أخرى.

---

(١) ديوان أبي فراس ص١٠٢ .

(٢) المصدر نفسه ص٢٢٦ .

(٣) الصبح المنبي عن حيثية المتنبي، للشيخ/ يوسف البديعي ص٨٧، ٨٨ تحقيق/ مصطفى السقا وآخرين ــ دار المعارف بمصر ــ الطبعة الثالثة ١٩٩٤م.

[الدراسة الموضوعية]
قادة الروم بين الإنصاف والهجاء والسخرية

أولا : إنصاف القادة:

عرف كثير من الشعراء العرب بإنصافهم الأعداء فى الحروب، وقال البغدادى فى ذلك: "وللعرب قصائد قد أنصف قائلوها أعداءهم وصدقوا عنهم وعن أنفسهم فيما اصطلود من حر اللقاء، وفيما وصفوه من أقوالهم فى أمحاض الإخاء قد سموها المنصفات"(١).

فمن هؤلاء الشعراء: مهلهل بن ربيعة، السفاح التغلبى(٢). أبوتمام وغيرهم من الشعراء العرب فى أزمنة الأدب العربى المتعاقبة.

أما المتنبى وأبوفراس فأنصفا القادة فى مواطن متعددة ــ وإن زاد المتنبى عن صاحبه فى ذلك ــ فأشار كل واحد منهما إشارات تنبئ عن إنصاف العدو المحارب، وتصفه بالقوة والثبات والإعداد الجيد لهذه المواقف، فتتمثل جوانب الإنصاف لدى المتنبى فى وصف الجيش بالقوة وكثرة العدد والعتاد، وثبات بعض القادة والجنود وقوتهم فى النزال، ووصف الحصون بالقوة والمنعة؛ بينما تتمثل تلك الجوانب لدى أبى فراس فى وصف جيش الأعداء بالقوة والثبات. وصف بعض القادة بالعزيمة والهمة، وصف الأسرى بالليوث. ووصف حصون الأسر بالقوة والإحكام.

١ـ وصف القادة والجنود:

وصف المتنبى قادة الأعداء وجنودهم بالقوة والثبات، والخبرة بالقتال، فقال:

وما حمدتك فى هول ثبت له ∴ حتى بلوتك والأبطال تمتصع(٣)

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ــ عبدالقادر بن عمر البغدادى ٥١٧/٣ ــ مطبعة بولاق ــ مصر ١٢٩٩هـ.

(٢) السفاح التغلبى : من شعراء تغلب المغمورين فى الجاهلية.

(٣) شرح ديوان المتنبى، للبرقوقى ٢/ ٣٤٣ ،الامتصاع والمماصعة : التقاتل والتجالد بالسيوف.

فجعلهم أبطالا أكفاء لأبطال سيف الدولة، وصورهم مجالدين مدافعين فى وقت هول وفزع لا يثبت فيه إلا الصناديد.

ويوازن بين ضعف جد الدمستق وفراره وبين ثبات الجنود الأبطال فى المعركة، ويفخر بهم وهم بين قتيل وأسير، يقول:

أجل من ولد الفقاس منكتف ∴ إذ فاتهن وأمضى منه منصرع[1]

فـ"ولد الفقاس" هو جد الدمستق، أو هو لقب الدمستق نفسه ـ كما قال ابن جنى ـ ، وهو قد فر من المعركة تاركا جنود البواسل بين منكتف أسير أجل ، ومنصرع ماض شجاع.

ويفصل المتنبى تصويره لهؤلاء المحاربين، ويقسمهم أقساما، ويجعل معظمهم أبطالا مغاوير، فيثبتون لجيش سيف الدولة حينا من الدهر، ثم يموتون صمودا وثباتا، يقول مصورا هجوم سيف الدولة على الروم بقرى "هنريط":

فما تركن بها خلد له بصر ∴ تحت التراب ولا بازا له قدم
ولا هزبرا له من درعه لبد ∴ ولا مهاة لها من شعبها حشم[2]

فالفارون جرذان تحت التراب، والمتحصنون بزاة فوق الجبال، والثابتون أسود لها دروع كاللبد تثبت للقاء حتى الموت.

ويؤكد الثبات مرة أخرى ـ وإن كان ثباتا جسديا لا روح فيه ـ فيقول:

فكان أثبت ما فيهم جسومهم ∴ يسقطن حولك والأرواح تنهزم[3]

ويعود المتنبى فيعترف بإجادتهم الثبات منذ القدم، فيقول:

والثبات الذى أجادوا قديما ∴ علم الثابتين ذا الإجفالا[4]

---

(١) المصدر نفسه ٢/ ٣٣٧ .
(٢) ديوان المتنبى ، بشرح العكبرى ٤/ ٢٠ ، والخلد : ضرب من الفأر ، ليست له عيون.
(٣) ديوان المتنبى بشرح العكبرى ٤/ ٢٤ .
(٤) المصدر نفسه ٣/ ١٤٠ ، الإجفال : الإسراع والهزيمة.

ونختم الحديث عن هذا الجانب بتصوير المتنبى ثبات الأعداء فى وقعة قلعة الحدث بقوله:

فلله وقت ذوب الفش ناره ∴ فلم يبق إلا صارم أو ضبارم
تقطع ما لا يقطع الدرع والقنا ∴ وفر من الأبطال من لا يصادم

* * *

تمر بك الأبطال كلمى هزيمة ∴ ووجهك وضاح وثغرك باسم

* * *

مضى يشكر الأصحاب فى فوته الظبى ∴ بما شغلتها هامهم والمعاصم
بناها فأعلى والقنا يقرع القنا ∴ وموج المنايا حولها متلاطم[1]

فالمتنبى هنا يؤكد صدق ثبات المقاتلين من الفريقين فى وقت اشتداد الهول واحتدام المعركة، ويصر على وصف الأعداء بالأبطال حتى عند هزيمتهم وجراحهم، ويعجب بصدهم الضربات عن الدمستق، وثباتهم فى اللقاء القاتل فى موج المنايا المتلاطم.

كل هذه الصفات تعطى للعدو حقه فى الثبات وإجادة فنون القتال. وذلك من الإنصاف العربى الذى يحترم الآخر، ويعترف بإيجابياته.

ويأتى دور أبى فراس، فينصف القادة والجنود فى المعارك. ولكنه إنصاف محدود، لا يتوسع فيه توسع المتنبى، وإنما يصور بحرص الفارس المقاتل الذى خبر الفرسان عن كثب، فقد خاض معهم كثيرا من المعارك التى قادها بنفسه، فرأى مواطن الثبات، وكثيرا من مواقف الفرار؛ فأكثر من السخرية والهجاء.

وصف أبوفراس المحاربين من أعدائه بالفرسان، فقال:

وأرماحنا فى كل لبة فارس ∴ تثقب تثقيب الجمان وتنظم[2]

فالأرماح لا تتخطى الفرسان الأبطال الذين يصمدون ويتلقون الضربات فى الصدور بثبات وعزيمة.

---

(١) ديوان المتنبى بشرح العكبرى ٣/ ٣٨٥ وما بعدها ، الضبارم : الأسد الشديد الغليظ.

(٢) ديوان أبى فراس ص٢٨١ .

ويخاطب "الدمستق" معترفا بتبادل الضربات والطعنات في الفريقين، فيقول:

تعيب على أن سميت نفسي ∴ وقد أخذ القنا منهم ومنا
فقل للعلج: لو لم أسم نفسي ∴ لسمانى السنان لهم وكنى[1]

ويعود أبوفراس، فيصور أعداءه أبطالا من خلال وقوعه في الأسر، وتحطم أدوات حربه؛ لقوة الأعداء وتغلبهم، فيقول مخاطبا سيف الدولة، وهو في الأسر:

أناديك لا أني أخاف من الردى ∴ ولا أرتجي تأخير يوم إلى غد
وقد حطم الخطي واخترم العدى ∴ وفلل حد المشرفي المهند[2]

ويعجب أبوفراس الفارس البطل، بالصامدين حتى الأسر، فيشيد بهم في وقت فر فيه "تقفور"، فيقول:

إذ الشيخ لا يلوى و"تقفور"محجر ∴ وفي القيد ألف كالليوث، قساور[3]

فالمقاتلون فرسان أبطال، وهم مزهوون في قيودهم كالليوث الكاسرة، وهذا شرف الثبات في اللقاء.

٢ ـ الإشادة بالجيش ومقوماته:

ومن الإنصاف الذي أضفاه الشاعران على قادة الجيش: وصف الجيش والإشادة بمقوماته من عدد، وعتاد، وحصون، وحسن تدبير وقيادة؛ مما يحسب للأعداء، ويرفع من قدر العرب المنتصرين أو المنهزمين في بعض المعارك، حيث التكافؤ موجود في البطولة والعتاد والخطط.

توسع المتنبي عن أبي فراس في هذا الجانب أيضا، فرسم ملامح جيش العدو في غير زاوية، وأحاط بكثير من مقومات الجيش الرومي، فكثرة العدد، وتنوع العتاد،والحرص في رسم الخطط والتنفيذ

(١) ديوان أبي فراس ص٣٠١ .
(٢) المصدر نفسه ص٨٣ .
(٣) المصدر نفسه ص١١٥ .

كرا وفرا؛ كل هذا يلمحه المتلقى من خلال أبيات المتنبى المتناثرة فى قصائده الكثيرة.

صور المتنبى هذا الجيش بصورة تنبئ عن كثرة العدد والعتاد. وتنوع الفرق فيه من كل لون وجنس فى قصيدته الشهيرة التى مطلعها:

على قدر أهل العزم تأتى العزائم ∴ وتأتى على قدر الكرام المكارم

قال فى هذا الوصف:

أتوك يجرون الحديد كأنهم ∴ سروا بجياد ما لهن قوائم
إذا برقوا لم تعرف البيض منهم ∴ ثيابهم من مثلها والعمائم
خميس بشرق الأرض والغرب زحفه ∴ وفى أذن الجوزاء منه زمازم
تجمع فيه كل لسن وأمة ∴ فما تفهم الحداث إلا التراجم(1)

ويصور المتنبى مهارة القادة فى القيادة والتحصن فى موطن آخر، فيقول:

تنكسهم والسابقات جبالهم ∴ وتطعن فيهم والرماح المكايد
وتضربهم هبرا وقد سكنوا الكدى ∴ كما سكنت بطن التراب الأساود
وتضحى الحصون المشمخرات فى الذرى ∴ وخيلك فى أعناقهن قلائد(2)

فالأعداء ــ وإن انهزموا فى تلك الواقعة ــ خبراء بمواطن القتال. عالمون بأماكن التحصن والاستتار، ومتى يكون الظهور والاختفاء.

ويشيد المتنبى بمنعة حصون الروم، ولا ينسى الإشارة إلى سابقة نصر لهم على المسلمين، وما فعلوه من قتل وتدمير، فيقول:

تمل الحصون الشم طول نزالنا ∴ فتلقى إلينا أهلها وتزول
وبتن بحصن الران رزحى من الوجى ∴ وكل عزيز للأمير ذليل

* * *

لبسن الدجى فيها إلى أرض "مرعش" ∴ وللروم خطب فى البلاد جليل(3)

---

(١) ديوان أبى الطيب المتنبى بشرح العكبرى ٣/ ٣٨٤، ٣٨٥ .
(٢) شرح ديوان المتنبى للبرقوقى ١/ ٣٩٦ ، ٣٩٧ .
(٣) ديوان أبى الطيب المتنبى، بشرح العكبرى ٣/ ١٠٣، ١٠٤ . حصن الران: من حصون الروم ، مرعش: حصن أيضا من أعمال ملطية.

ويعود المتنبى فيصور قوة الجيش (المنهزم)، وكثرة عدده، ومهارة حيلته، فيقول متحدثا عن ملك الروم (ابن لاون) :

حال أعدائنا عظيم وسيف الـ ـدولة ابن السيوف أعظم حالا
كلما أعجلوا النذير مسيرا ∴ أعجلتهم جياده الإعجالا

* * *

لا ألوم "ابن لاون" ملك الرو ـم وإن كان ما تمنى محالا

* * *

يجمع الروم والصقالب والبلـ ـد غرفيها وتجمع الآجالا
أخذوا الطرق يقطعون بها الرسـ ـل فكان انقطاعها إرسالا
وهم البحر ذو الغوارب إلا ∴ أنه ثار عند بحرك آلا[1]

تلك هى رؤية المتنبى لجيش الروم، وما به من مقومات. وهى رؤية منصفة تعطى العدو حقه، وتعترف بما له من حسنات. وهذا هو عين الإنصاف .

أما رؤية أبى فراس فتختلف عن رؤية المتنبى. فقد نظر للجيش بمنظور الفارس المحارب الذى يطعن ويصول ويجول بفرسه وسيفه داخل جحافل الكفر والإجرام، فلم يتعرض لكثرة عدد. ولا لمهارة قيادة، ولا لتنوع عتاد؛ وإنما أشار إلى بعض مقومات الجيش إشارات سريعة فى لمحة خاطفة مع التذييل فى ختام إشاراته بعزة جيشه ومنعته .

يشير أبوفراس إلى استعداد العدو للأخذ بالثأر، فيقول:

رأيتهم يرجون ثأرا بسالف ∴ وفى كل يوم يأخذ الثأر منهم[2]

ويخاطب الدمستق متهما إياه بالكذب فيما يدعيه من معرفة فنون الحرب، يقول:

تفاخرنا بالطعن والضرب فى الوغى ∴ لقد أوسعتك النفس يا ابن استها كذبا[3]

(١) ديوان أبى الطيب المتنبى، بشرح العكبرى ٣/ ١٣٤ : ١٣٩ .
(٢) ديوان أبى فراس ص ٢٨١ .
(٣) ديوان أبى فراس ص ٤٣ .

ويشير ــ من بعيد ــ لكثرة الجيش الظالم الباغى، وذلك عندما كتب إلى سيف الدولة يحذره من الدمستق وخروجه فى جيشه، يقول:

هذى الجيوش تجيش نحو بلادكم ∴ محفوفة بالكفر والصلبان
البغى أكثر ما تقل خيولهم ∴ والبغى شر مصاحب الإنسان[1]

فهذا هو الفرق بين المتنبى الشاعر الإنسان، وبين أبى فراس الشاعر القائد الفارس، فلم يكثر أبوفراس من الحديث عن جوانب الإنصاف؛ لأنه فارس أولا، وقائد عسكر ثانيا، وأسير الروم ثالثا، وقد خاض المعارك وقادها بنفسه، وانتصر كثيرا على الروم، ورأى فيهم جوانب الضعف القتالية، فأكثر من الحديث من جوانب الهجاء والسخرية، واكتفى بالإشارات السريعة فى جوانب الإنصاف.

ثانيا : هجاء القادة والسخرية منهم:

تعرض الشاعران لقادة الروم بالهجاء المر، والسخرية اللاذعة فى كثير من المواقف التى امتحنوا فيها ولم يبلوا فيها بلاء الرجال. وهؤلاء القادة هم: ملوك الروم، قواد جيوشهم (الدمستق). بعض البطارقة فى الحرب والأسر.

وتتمثل جوانب الهجاء والسخرية لدى المتنبى فى وصف الملوك بالذل والهوان والفزع، ووصف الدمستق بالجبن والهلع والفرار من الميدان، ووصف البطريق بالحنث فى اليمين والجبن والفرار.

كما تتمثل تلك الجوانب لدى أبىفراس فى وصف الملوك بالذل والخنوع، ووصف الدمستق وأقرانه أمثال: بردلس، قرقواس وغيرهما بالفرار من الحرب والفزع من اللقاء، والنجاة بالنفس.

١ ـ هجاء الملوك والسخرية منهم:

وقد المتنبى على سيف الدولة معجبا به وبشجاعته؛ لذا تفنن فى تصويره بالرفعة، وعلو الهمة، وبعد المنال من الأعداء؛ وفى

(١) ديوان أبىفراس ص٣٠٤ .

الوقت نفسه ألقى بظلال معاكس لصورة ملوك الروم، فوصفهم بالذل والهوان، والخضوع لملك العرب (سيف الدولة)، وقد تجلت هذه الحقيقة منذ اللقاء الأول بين الشاعر وممدوحه، حيث امتدحه بأول قصيدة سنة سبع وثلاثين وثلثمائة عند نزوله أنطاكية ومنصرفه من ظفره بحصن "برزويه"، وكان سيف الدولة جالسا تحت شراع ديباج وفيه تصاوير لوحوش، كما حمل الشراع صورة لملك الروم، فقال المتنبي:

وفاؤكما كالربع أشجاه طاسمه ∴ بأن تسعدا والدمع أشفاه ساجمه

إلى أن قال يصف الديباج الذى يجلس تحته:

وفوق حواشي كل ثوب موجه ∴ من الدر سمط لم يثقبه ناظمه
ترى حيوان البر مصطلحا بها ∴ يحارب ضد ضده ويسالمه
إذا ضربته الريح ماج كأنه ∴ تجول مذاكيه وتدأى ضراغمه
وفى صورة الرومى ذى التاج ذلة ∴ لأبلج لا تيجان إلا عمائمه[1]

فالذل واضح فى سجود ملك الروم لسيف الدولة على الرغم من تتويجه بتيجان الروم، وإنما التتويج الحقيقى فى عزة العربى بعمامته ورفعة قامته.

ولا يترك المتنبى مناسبة تمر دون التعريض بملوك الروم، ووصفهم بالهلع والفزع وعدم الاستقرار، فمن ذلك دخول المتنبى على سيف الدولة فى مجلسه وعنده رسول ملك الروم، وقد أحضر جند سيف الدولة لبؤة مقتولة ومعها ثلاثة أشبال أحياء، فحمل المتنبى رسول الملك رسالة هازئة فيما ارتجله فى تلك الأبيات، فقال:

لقيت العفاة بآمالها ∴ وزرت العداة بآجالها
وأقبلت الروم تمشى إليـ ∴ ـك بين الليوث وأشبالها
إذا رأت الأسد مسبية ∴ فأين تفر بأطفالها؟[2]

---

(١) ديوان أبى الطيب المتنبى بشرح العكبرى ٣/ ٣٢٥ وما بعدها.
(٢) المصدر نفسه ٣/ ٩٢، ٩٣.

ويغتنم المتنبى فرصة أخرى يجلس فيها سيف الدولة لرسول ملك الروم، فيراها المتنبى مفخرة لملك الروم يرفع بها رأسه. ويتعالى بها على أقرانه من ملوك العجم، ويحمى بها رقاب جنوده حينا من الدهر، فيرتجل المتنبى قائلا:

اليوم يرفع ملك الروم ناظره ∴ لأن عفوك عنه عنده ظفر
وإن أجبت بشئ عن رسائله ∴ فما يزال على الأملاك يفتخر
قد استراحت إلى وقت رقابهم ∴ من السيوف وباقى القوم ينتظر[1]

ويجسد المتنبى فزع ملك الروم ورعيته ورسله فى تلك الصورة الساخرة التى رآها عند دخول رسول ملك الروم على سيف الدولة فزعا هلعا لا تحمله قدماه، وتكاد تنقد مفاصله فأقبل ذليلا يقبل التراب والثياب رجاء العفو والرضا ٠

ولم ينس المتنبى عقد موازنة بين هذا الملك الجبان، ورسوله الخائر، وبين سيف الدولة المنتصر بجيشه الجرار المدرب. يقول المتنبى فى رائعته:

دروع لملك الروم هذى الرسائل ∴ يرد بها عن نفسه ويشاغل
هى الزرد الضافى عليه ولفظها ∴ عليك ثناء سابغ وفضائل
وأنى اهتدى هذا الرسول بأرضه ∴ وما سكنت مذ سرت فيها القساطل
ومن أى ماء كان يسقى جياده ∴ ولم تصف من مزج الدماء المناهل
أتاك يكاد الرأس يجحد عنقه ∴ وتنقد تحت الذعر منه المفاصل
يقوم تقويم السماطين مشيه ∴ إليك إذا ما عوجته الأفاكل
فقاسمك العينين منه ولحظه ∴ سميك والخيل الذى لا يزايل
وأبصر منك الرزق، والرزق مطمع ∴ وأبصر منه الموت، والموت هائل
وقبل كما قبل الترب قبله ∴ وكل كمى واقف متضائل
وأسعد مشتاق وأظفر طالب ∴ همام إلى تقبيل كمك واصل
مكان تمناه الشفاه ودونه ∴ صدور المذاكى والرماح الذوابل

---

(١) شرح ديوان المتنبى، للبرقوقى ٢/ ٢٠١ ، القساطل: جمع قسطلى وهو الغبار الذى نثيره الخيل بموافرها ، السماطان: الصفان . والأفاكل: جمع أفكل وهى الرعدة التى تعرض عند الفزع ، المذاكى من الخيل: التى كملت أسنانها ، الوحدة : مذك٠

فمـا بلغتـه مـا أراد كرامـة ∴ عليـك، ولكـن لم يخـب لـك سـائل

* * * * * *

فإن كان خوف القتل والأسر ساقهم ∴ فقـد فعلـوا مـا القتـل والأسـر فاعـل
فخـافوك حتـى مـا لقتـل زيـادة ∴ وجـاءوك حتـى مـا تـزاد السلاسـل[1]

ويسخر المتنبى من ملك الروم (ابن لاون) سـخرية مريـرة، ويصوره بالغبى الغر الذى لا يعى أمر دولته، ولا يقدر للأمور قدرها، فيهلك الجيش والرعية، فيلعنه المتنبى قائلا:

مـا يشـك اللعـين فـى أخـذك الجـيش فهـل يبعـث الجيـوش نـوالا؟
ما لمـن ينصب الحبائـل فـى الأر ∴ ض ومرجـاه أن يصـيد الهـلالا[2]

* * * * * *

أما أبو فراس فلم يكثر من السخرية بملوك الروم، وإنما أكثـر من السخرية من قادة الجيوش، واكتفى بإشارات سريعة إلى الملـوك الحكام؛ لأنه رجل جيش، وقائد عسكر فى المقام الأول.

أشار إلى ذل ملك الروم واضطرابه، وضعفه فى حماية شـعبه وبناته اللاتى وقعن أسرى فى أيدى جده المغوار، وسخر مـن ذلـك سخرية سريعة لاذعة، قال:

وجدى الذى انتاش الديار وأهلها ∴ وللـدهر نـاب، فـيهم وأظـافر

* * * * * *

أسـا داء ثغـر كـان أعيـا دواؤه ∴ وفـى قلـب ملـك الـروم داء مخـامر

* * * * * *

غزا الروم لم يقصد جوانب غـرة ∴ ولا سـبقته بـالمراد النـذائر
فلـم تـر إلا فالقـا هـام فيلـق، ∴ وبحـرا لـه تحـت العجاجـة مـاخر
ومسـتردفات مـن نسـاء وصـبية ∴ تثنـى علـى أكتـافهن الضـفائر
بنيـات أمـلاك أتـين فجـاءة ∴ قهـرن، وفـى أعنـاقهن الجـواهر[3]

---

(١) ديوان أبى الطيب المتنبى بشرح العكبرى ٣/ ١١٢ .
(٢) المصدر السابق ٣/ ١٤٤ .
(٣) ديوان أبى فراس ص١٠٨ وما بعدها .

وعرض بملوك الروم فى إلمامة خاطفة ضمن الحديث عن جيش سيف الدولة وما فعله فى بلاد الروم، فقال:

وجبن بلاد الروم ستين ليلة ∴ تغاور ملك الروم فيمن تغاور
* * *

وحسبى بها يوم الأحيدب وقعة ∴ على مثلها فى العز تثنى الخواطر
عدلنا بها فى قسمة الموت بينهم ∴ وللسيف حكم فى الكتيبة جائر
إذ الشيخ لا يلوى و"تقفور" مجحر ∴ وفى القيد ألف كالليوث قساور
ولم يبق إلا صهره وابن بنته ∴ وثور بالباقين من هو ثائر[1]
* * *

٢ ـ السخرية من قادة الجيوش:

سخر الشاعران من قادة الجيوش سخرية مريرة،ولعبا بالصورة فى كل مجال، فصورا قادة جيوش الروم فى أخس الصور. ورسما لهم رسوما كاريكاتورية مضحكة لا يملك المتلقى حيالها إلا الضحك والتندر بتلك الجسوم النخرة؛ وكان "الدمستق" أكثر القادة حظا فى الهجاء والسخرية،إذ وصفه الشاعران بأحط الصفات التى تعيب القائد،وتحط من شأنه:كالجبن،والخور،والفرار من المعركة،والتضحية بأعز شئ لديه كأولاده،وأصهاره،وجنوده فى سبيل النجاة بالنفس.

بدأ المتنبى هجاءه الدمستق، فوصفه بخطل الرأى قبل المعركة. وبالجبن عند وقوعها وإصابته فيها إصابة جعلته يتحسس مكان الطعن كلما ذكرت المعركة، وسخر المتنبى من فراره تاركا كل عزيز عليه، كالعذارى، وممتلكاته، ورموز دينه ومعتقده، فقال يخاطب سيف الدولة عند بناء "مرعش":

سراياك تترى و"الدمستق" هارب ∴ وأصحابه قتلى وأمواله نهبى
أتى "مرعشا" يستقرب البعد مقبلا ∴ وأدبر إذ أقبلت يستبعد القربا
كذا يترك الأعداء من يكره القنا ∴ ويفعل من كانت غنيمته رعبا
وهل رد عنه "باللقان"[1] وقوفه ∴ صدور العوالى والمطهمة القبا؟

(١) ديوان أبى فراس ص١١٣ وما بعدها الأحيدب: جبل مطل على الحدث ، وتقفور ملك الروم ، أحجر : ألجأته الحرب إلى التحصن.

مضى بعدما التف الرماحان ساعة ∴ كما يتلقى الهدب فى الرقدة الهدبا
ولكنه ولى وللطعن سورة ∴ إذا ذكرتها نفسه لمس الجنبا
وخلى العذارى والبطاريق والقرى ∴ وشعث النصارى والقرابين والصلبا[2]

وأمعن المتنبى فى السخرية والازداء، فتعجب مستهزئا بهذا القائد الأحمق الجبان الذى فر فرار النعام تاركا مهجة فؤاده "قسطنطين" فى ذل الأسر يعوى ويعول، والأب الجبان لا يلوى على شئ، قال:

على قلب "قسطنطين" منه تعجب ∴ وإن كان فى ساقيه منه كبول
لعلك يوما يا "دمستق" عائد ∴ فكم هارب مما إليه ينول
نجوت بإحدى مهجتيك جريحة ∴ وخلفت إحدى مهجتيك تسيل
أتسلم للخطية ابنك هاربا ∴ ويسكن فى الدنيا إليك خليل؟
بوجهك ما أنساكه من مرشة ∴ نصيرك منها رنة وعويل[3]

وكانت قلعة الحدث، فانكسر "الدمستق" وولى هاربا ـ على عادته ـ تاركا ابنه وابن صهره، ونجا بنفسه، فاختار المتنبى صورة كاريكاتورية مزرية فى رسم تلك الصورة الهزلية، فصور لنا قائدا كبيرا ـ فى قومه ـ لم يعتبر بالتجربة إذ كثيرا ما صفع على قفاه ولكنه نسى ولم يتعظ، ولم يميز ريح الليوث التى تميزها البهائم! وجعل المتنبى هذا الهارب يشكر أصحابه لافتدائهم إياه برقابهم ثم مضى شاكرا سيف الدولة على ترك عنقه دون ضرب فتلك هى غنيمة الدمستق، قال المتنبى:

أفى كل يوم ذا "الدمستق" مقدم ∴ قفاه على الإقدام للوجه لائم
أينكر ريح الليث حتى يذوقه ∴ وقد عرفت ريح الليوث البهائم
وقد فجعته بابنه وابن صهره ∴ وبالصهر حملات الأمير الغواشم
مضى يشكر الأصحاب فى فوته الظبا ∴ بما شغلتها هامهم والمعاصم

(١) اللقان: ثغر ببلاد الروم (الأناضول).
(٢) شرح ديوان المتنبى للبرقوقى ١/ ١٨٨، ١٨٩ ، الخيل المطهمة : التامة الخلق ،والقب: جمع أقب وهو الضامر البطن.
(٣) ديوان أبى الطيب المتنبى بشرح العكبرى ٣/ ١٠٦ ، المرشة: الطعنة التى يرش مهن الدم ،والرنة: الصوت بالبكاء.

ويفهم صوت المشرفية فيهم ∴ على أن أصوات السيوف أعاجم
يسر بما أعطاك لا عن جهالة ∴ ولكن مغنوما نجا منك غانم[1]

وبلغ المتنبى ذروة السخرية، وركب قمة الهجاء فى ازدراء الدمستق ساعة انتصاره فى إحدى المعارك؛ إذ جعل أسرى المسلمين وقتلاهم طهارة للجيش الإسلامى، وتخلصا من خبثه، فهم كالجراثيم التى تضعف البدن، وتهد قواه، فكان لزاما على الدمستق ألا يغنم غيرهم، قال المتنبى ساخرا من ضعف المسلمين الذين أسرهم الدمستق أو قتلهم:

قل للدمستق إن المسلمين لكم ∴ خانوا الأمير فجازاهم بما صنعوا
وجدتموهم نياما فى دمائكم ∴ كأن قتلاكم إياهم فجعوا
ضعفى تعف الأيادى عن مثالهم ∴ من الأعادى وإن همو بهم نزعوا
لا تحسبوا من أسرتم كان ذا رمق ∴ فليس يأكل إلا الميت الضبع
هلا على عقب الوادى وقد صعدت ∴ أسد تمر فرادى ليس تجتمع
تشقكم بفتاها كل سلهبة ∴ والضرب يأخذ منكم فوق ما يدع
وإنما عرض الله الجنود بكم ∴ لكى يكونوا بلا فسل إذا رجعوا
فكل غزو إليكم بعد ذا فله ∴ وكل غاز لسيف الدولة التبع[2]

وإنما صنع المتنبى ما صنع، لأنه يحب الرجولة، وكان "إذا رأى ما يخالفها ويحط منها، اهتزت نفسه واشمأزت، وأبدى ازدراءه واحتقاره، فهو يحب من عدوه أن يستمسك بعروة الرجولة فى اللقاء والهزيمة والنصر، كما يحب ذلك من نفسه"[3].

* * * * * *

ويجمع أبوفراس طاقته الهجائية ويوزعها بين قادة الجيش الرومى، فيذكر القادة عامة فى بعض الأحايين، ويخصص السخرية لقادة بعينهم فى أحايين أخرى، وهو فى كل ذلك يصورهم جبناء

(١) المصدر السابق ٣/ ٣٨٩، ٣٩٠ .
(٢) شرح ديوان المتنبى، للبرقوقى ٢/ ٣٣٨ : ٣٤٠ ، الفسل: الرذل الدنىء العاجز .
(٣) المتنبى ــ محمود شاكر ص١٤٧ .

فزعين، لا يثبتون عند اللقاء؛ وإنما يستخدمون الغدر والحيلة في حروبهم .

ذكر أبا العشائر، القائد البطل، وحزن لأسر الروم له، فعرض بقادتهم، وسخر من غدرهم ، وافتخر بقوة سيف الدولة معرضا بإمكانية فك أسر أبى العشائر، قال:

أأبا العشائر إن أسرت فطالما .·. أسرت لك البيض الخفاف رجالا
لما أجلت المهر فوق رؤوسهم .·. نسجت له حمر الشعور عقالا
يا من إذا حمل الحصان على الوجى .·. قال: اتخذ حبك التريك نعالا
ما كنت نهزة آخذ يوم الوغى .·. لو كنت أوجدت الكميت مجالا
حملتك نفس حرة وعزائم .·. قصرن من قلل الجبال طوالا
ورأين بطن العير ظهر عراعر .·. والروم وحشا والجبال رمالا
أخذوك في كبد المضايق غيلة .·. مثل النساء، تربت الرنبالا

* * *

وغدا تزورك بالفكاك خيوله .·. متثاقلات تنقل الأبطالا
إن ابن عمك ليس عم الأخطل اجـ .·. ـتاح الملوك وفكك الأغلالا[1]

وذكر أسره ، فتعجب من قوته، وسخر من غدر قادة الروم، فقال:

ما للعبيد من الذى .·. يقضى به الله امتناع
ذدت الأسود عن الفرا .·. ئس ، ثم تفرسنى الضباع[2]

وممن عينهم من القادة في الهجاء والسخرية: "ابن فقاس"، فجرده من الخبرة بالحروب ، وذكره بما يحدث له من ضرب الوجه، وثكل الأم، وأسر السبط، ثم افتخر عليه بعلو الخلق وسمو الدين اللذان يمنعانه من قتل الشيخ الضعيف، فأولى بهم دفع الجزية والهرع إلى الصلح فذلك أسلم لهم وأجدى، قال:

فقل لابن "فقاس":دع الحرب جانبا .·. فإنك رومى، وخصمك مسلم

---

(١) ديوان أبى فراس ص٢٢٦، ٢٢٧ ، الوجى: الحفاء. التريك: الواحدة : تريكه بيضة الحديد التى يضفى ، المحارب على رأسه نهزة آخذ: صيدله ، عراعر : موضع.
(٢) المصدر نفسه ص١٨٨ .

فوجهك مضروب، وأمك ثاكل ∴ وسبطك مأسور، وعرسك أيم
ولم تنب عنك البيض فى كل مشهد ∴ ولكن قتل الشيخ فينا محرم
إذا ضربت فوق الخليج قبابنا ∴ وأمسى عليك الذل، وهو مخيم
وأدى إلينا الملك جزية رأسه ∴ وفك عن الأسرى الوثاق وسلموا
فإن ترغبوا فى الصلح فالصلح صالح ∴ وإن تجنحوا للسلم فالسلم أسلم[1]

واختص أبوفراس "الدمستق" بعدة صور رسمها له رسما ضاحكا ساخرا، فهو الجبان المخادع الذى يفر من اللقاء، مخلفا وراءه أغلى ما لديه من مال وأهل وولد، قال من قصيدة يصف فيها جيش سيف الدولة:

وشق إلى نفس "الدمستق" جيشه ∴ بأرض سلام والقنا متشاجر
* * *
أخذن بأنفاس "الدمستق" وابنه ∴ وعبرن بالتيجان من هو عابر!
* * *
ولما وردنا الدرب والروم فوقه ∴ وقدر "قسطنطين" أن ليس صادر
* * *
وأبن "بقسطنطين" وهو مكبل ∴ تحف بطاريق به وزراور
وولى على الرسم "الدمستق" هاربا ∴ وفى وجهه عذر من السيف عاذر
فدى نفسه بابن عليه كنفسه ∴ وللشدة الصماء تقنى الذخائر!
وقد يقطع العضو النفيس لغيره ∴ وتدفع بالأمر الكبير الكبائر[2]!

واغتنم "الدمستق" فرصة أسر أبى فراس، فظن أنه ضعف فافتخر عليه بالقوة والغلبة، وخوض الحروب، وأسر الأبطال؛ فردها أبوفراس فى وجهه قوية جارحة، وذكره بقتلاه وأسراه من قادة الحروب الرومية، كما ذكره بمواطن هزائمه التى فر فيها هاربا فى الصحراء كاليربوع داخل الجحر، كما عيره بكثرة مكاتبات الروم فى طلب السلم، قال أبوفراس فى هذه المناظرة البديعة:

أتزعم يا ضخم اللفاديد أننا ∴ ونحن أسود الحرب لا نعرف الحربا؟
فويلك من للحرب إن لم تكن لها ∴ ومن ذا الذى يمسى ويضحى لها تربا

(١) المصدر نفسه ص٢٨٢ .
(٢) ديوان أبى فراس ص١١٣ وما بعدها .

ومن ذا يلف الجيش من جنباته ∴ ومن ذا يقود الشم أو يصدم القلبا
وويلك من أردى أخاك "بمرعش" ∴ وحلل ضربا وجه والدك العضبا
وويلك من خلى ابن أختك موثقا ∴ وخلاك "باللقان" تبتدر الشعبا؟
أتوعدنا بالحرب حتى كأننا ∴ وإياك لم يعصب بها قلبنا عصبا
لقد جمعتنا الحرب من قبل هذه ∴ فكنا بها أسدا وكنت بها كلبا
فسل "بردسا" عنا أخاك وصهره ∴ وسل "آل بردااليس" أعظكم خطبا
وسل "قرقواسا" و"الشميق" وصهره ∴ وسل سبطه البطريق أثبتكم قلبا
وسل صيدكم آل الملايين إننا ∴ نهبنا ببيض الهند عزهم نهبا
وسل "آل بهرام" و"آل بلنطس" ∴ وسل "آل منوال" الجحاجحة الغلبا
وسل "بالبرطسيس" العساكر كلها ∴ وسل "بالمنسطر ياطس" الروم والعربا
ألم تفنهم قتلا وأسرا سيوفنا ∴ وأسد الشرى قدنا إليك أم الكتبا؟
بأقلامنا أجحرت أم بسيوفنا ∴ وأسد الشرى قدنا إليك أم الكتبا؟
تركناك في بطن الفلاة تجوبها ∴ كما انتفق اليربوع يلتثم التربا
تفاخرنا بالطعن والضرب في الوغى ∴ لقد أوسعتك النفس يا ابن استها كذبا
رعى الله أوفانا إذا قال ذمة ∴ وأنفذنا طعنا، وأثبتنا قلبا
وجدت أباك العلج لما خبرته ∴ أقلكم خيرا، وأكثركم عجبا[1]

وناظره "الدمستق" مرة أخرى في أسره، ولكن هذه المناظرة كانت في أمور الدين والخلق، فاهتبلها أبوفراس، وسخر من سوء رأيه، وسخافة فكره، وافتخر عليه بالقوة والغلبة، وحسن التدبير في الرأي والحرب، قال أبوفراس:

تأملني "الدمستق" إذ رآني ∴ فأبصر صيغة الليث الهمام
أتنكرني كأنك لست تدري ∴ بأني ذلك البطل المحامي؟
أوافي إذ نزلت على دلوك ∴ تركتك غير متصل النظام
ولما أن عقدت صليب رأيي ∴ تحلل عقد رأيك في المقام
وكنت ترى الأناة وتدعيها ∴ فأعجلك الطعان عن الكلام
وبت مؤرقا من غير سقم ∴ حمى جفنيك طيب النوم حام
ولا أرضى الفتى ما لم يكمل ∴ برأي الكهل إقدام الغلام

(١) ديوان أبي فراس ص٤٢، ٤٣ ، وكل الأسماء التي وردت هي أسماء أسر وأبطال بيزنطيين. اليربوع : نوع من الفأر.

فـلا هنئتهـا نعمـى بأسـرى ∴ ولا وصـلت سـعودك بالتمـام
أمـا مـن أعجـب الأشـياء علـج ∴ يعرفنـى الحـلال مـن الحـرام[1]

* * *

٣ ـ هجاء البطارقة والسخرية منهم:

وتعد البطارقة من القادة؛ لأنها قيادة روحية، تصحب الجيش فتشحذ من همته، وتشد من أزر الملوك والقادة، وقد هجاهم المتنبى، وسمى من هجاه؛ لعلمه بمقالة حلف فيها البطريق "ابن شمشقيق . بطريق الروم ألا يفر من الحرب، فحنث فى يمينه، وفر هاربا، فعيره المتنبى وسخر منه، فقال:

عقبى اليمين على عقبى الوغى ندم ∴ ماذا يزيدك فى إقدامك القسم؟
وفى اليمين على ما أنت واعده ∴ ما دل أنك فى الميعاد متهم
آل الفتى "ابن شمشقيق" فاحنثه ∴ فتى من الضرب تنسى عنده الكلم
وفاعل ما اشتهى يغنيه عن حلف ∴ على الفعال حضور الفعل والكرم

* * *

أين البطاريق والحلف الذى حلفوا ∴ بمفرق الملك والزعم الذى زعموا؟
ولى صوارمه إكذاب قولهم ∴ فهن ألسنة أفواهها القمم

* * *

وأسلم "ابن شمشقيق" أليته ∴ إلا انثنى فهو ينأى وهى تبتسم
لا يأمل النفس الأقصى لمهجته ∴ فيسرق النفس الأدنى ويغتنم
ترد عنه قنا الفرسان سابغة ∴ صوب الأسنة فى أثنائها ديم
تخط فيها العوالى ليس تنفذها ∴ كأن كل سنان فوقها قلم
فلا سقى الغيث ما واراه من شجر ∴ لو زل عنه لوارى شخصه الرخم[2]

ويتعقب المتنبى "الدمستق" بعد فراره من إحدى المعارك ودخوله الدير متنسكا تائبا، فيسخر منه، ويهجوه هجاء مرا، ويذكره

(١) المصدر نفسه ص٢٧٥، ٢٧٦ .
(٢) ديوان أبى الطيب المتنبى بشرح العكبرى ٤/ ١٥ وما بعدها. ابن شمشقيق بطريق الروم .

بأيام هزائمه، ويخبره بأن التنسك لم ينجه من سيف الدولة، وإلا لتابت ملوك الروم، يقول المتنبى ساخرا من هذا الراهب:

لذلك سمى ابن الدمستق يومه ∴ مماتا وسماه الدمستق مولدا
سريت إلى "جيحان" من أرض آمد ∴ ثلاثا لقد أدناك ركن وأبعدا
فولى وأعطاك ابنه وجيوشه ∴ جميعا ولم يعط الجميع ليحمدا

* * *

وما طلبت زرق الأسنة غيره ∴ ولكن "قسطنطين" كان له الفدا
فأصبح يجتاب المسوح مخافة ∴ وقد كان يجتاب الدلاص المسردا
ويمشى به العكاز فى الدير تائبا ∴ وما كان يرضى مشى أشقر أجردا
وما تاب حتى غادر الكر وجهه ∴ جريحا، وخلى جفنه النقع أرمدا
فلو كان ينجى من على ترهب ∴ ترهبت الأملاك مثنى وموحدا
وكل امرئ فى الشرق والغرب بعدها ∴ يعدله ثوبا من الشعر أسودا[1]

* * *

وتسنح فرصة لأبى فراس فى أثناء مناظراته الدمستق، فيرى البطارقة تلتف حول هذا القائد، ويظنون الضعف بأبى فراس بعد الأسر، فيهجوهم بجرأة، ويسخر منهم بحدة، ويعبث بأشكالهم وأخلاقهم، فيقول:

وتكنفه بطارقة تيوس ∴ تبارى بالعثانين الضخام
لهم خلق الحمير فلست تلقى ∴ فتى منهم يسير بلا حزام
يريغون العيوب، وأعجزتهم ∴ وأى العيب يوجد فى الحسام؟
وأصعب خطة، وأجل أمر ∴ مجالسة اللئام على الكرام[2]

وهكذا تفنن الشاعران فى هجاء القادة، والنيل منهم فى سخرية لاذعة، وتصوير كاريكاتورى مضحك؛ فشفوا النفوس، وحققوا المأمول قولا وفعلا.

---

(١) ديوان أبى الطيب المتنبى بشرح العكبرى ١/ ٢٨٣ وما بعدها. آمد: بلد بالثغور مما يلى الروم.

(٢) ديوان أبى فراس ص٢٧٦ ، العثانين : جمع عثنون : اللحية . يريغون : يطلبون.

[جوانب فنية]

١ـ اللغة والأساليب :

اختار الشاعران اللغة بعناية فائقة، فعبر كل واحد منهما عما يريد بألفاظ منتقاة موحية بالغرض الذى يرمى إليه، فاللفظة وعاء المعنى، ولم يجد الشاعران صعوبة فى التعبير، فكلاهما شاعر بارع، متقن للغته، مبدع فيها، أما أبوالطيب المتنبى "فكان من المكثرين من نقل اللغة والمطلعين على غريبها، ولا يسأل عن شئ إلا استشهد بكلام العرب من النظم والنثر، حتى قيل إن الشيخ أبا على الفارسى قال له يوما: كم لنا من الجموع على وزن فعلى؟ فقال له فى الحال حجلى وظربى. قال الشيخ أبوعلى الفارسى: فطالعت كتب اللغة ثلاث ليال على أن أجد لها ثالثا فلم أجد ، وحسبك من يقول مثل أبى على فى حقه ذلك"[١].

وأما أبوفراس فشاعر أمير، جمع من مقومات الشعر ما لم يجمعه كثير غيره، فجالس الأمراء، واستمع إلى العلماء، وناقش النقاد، واطلع على الموروث الثقافى العربى، كما نهل من ثقافات عصره المتنوعة، ما بين مترجم من الفارسية، ومنقول عن اليونانية. أضف إلى ذلك مكانته فى البلاط الحاكم؛ كل ذلك مكنه من ناصية اللغة، ومفاتيح البيان.

فإذا أراد المتنبى تصوير قوة جيش العدو، وثبات جنوده، تخير من الألفاظ ما يدل على تلك القوة الراسخة التى لم تثبت أمام قوة سيف الدولة، فيقول:

وما حمدتك فى هول ثبت له ∴ حتى بلوتك والأبطال تمتصع

فألفاظ: الهول، الثبات، الحمد، بلوتك، الأبطال، تمتصع، أوحت بهذا المعنى، وعبرت خير تعبير عن هول الموقف، وشجاعة الشجعان، وانكسار أبطال الروم، ولا يخفى ما فى لفظة (تمتصع) من

(١) الصبح المنبى عن حيثية المتنبى، للشيخ يوسف البديعى ص١٤٣

المجالدة والمجاهدة المفهومة من أصوات الحروف المتتابعة من الميم، والصاد، والعين، واجتماعها فى كلمة صاخبة بهذا الصوت العدوى.

ويعبر المتنبى عن تحصن جيوش الروم وكثرتها، فيتخير ألفاظا تدل على تمكن العدو فى حصونه، فنرى: الحصون، المشمخرات. الشم، طول الجيوش وعرضها، للروم خطب جليل، يجرون الحديد. خميس بشرق الأرض والغرب زحفه، باز، هزبر.(١)

* * * * * *

ويصور أبو فراس جانبا من جوانب جيش العدو فى الثبات. وقوة المحاربين، فيتخير ألفاظ المحارب التى ترسم صورته قبل أن يفر، فيقول مثلا:

إذ الشيخ لا يلوى وتقفو مجحر ∴ وفى القيد ألف كالليوث، قساور

فلفظة ليوث، ولفظة قساور تصور قوة الجندى الرومى المحارب الثابت فى المعركة، ومع ذلك فقد وقع فى الأسر.

ويكثر من ألفاظ أدوات الحرب، فنرى: السيف، الثأر، الطعن. الضرب، الوغى، السنان، الدماء الحمر، حطم الخطى.

ويعبر عن شدة المعركة وثباته لها فيقول:

وقد حطم الخطى واخترم العدى ∴ وفلل حد المشرفى المهند

أما جوانب الهجاء فيتفنن لها الشاعران، ويتخيران ألفاظا مضحكة ساخرة من العدو الغاشم المغتر بقوته الذى يملأ الدنيا صياحا قبل اللقاء، ثم يفر مدحورا من ساحة القتال، ونلاحظ فى هذا الجانب قسوة أبى فراس فى اختيار ألفاظه عن المتنبى الذى كان معتدلا فى اصطياد الألفاظ العفيفة مع قساوة ما تحمل من هجاء وسخرية.

---

(١) انظر البحث ص

أكثر المتنبى من وصف ملوك الروم بالذل والهوان، كما أكثر من وصف قوادهم بالفرار والجبن، لهذا جاءت ألفاظ الذل، والهزيمة، الفرار، الانكسار، مع التلاعب بالمترادفات، يقول عن ملوك الروم:

اليوم يرفع ملك الروم ناظره ∴ لأن عفوك عنده ظفر

هجاء قاسى، وسخرية مريرة مع تحشم فى الألفاظ، ودقة فى التعبير ، ويقول مرة أخرى:

رأى ملك الروم ارتياحك للندى ∴ فقام مقام المجتدى المتملق
وخلى الرماح السمهرية صاغرا ∴ لأدرب منه بالطعان وأحذق
وكاتب من أرض بعيد مرامها ∴ قريب على خيل حواليك سبق

تعبير بليغ، وسخرية لاذعة عبرت عنها ألفاظ (المجتدى المتملق، صاغرا، لأدرب منه) مع عبقرية فى التهوين من شأنه فى رعيته وملكه.

ويكثر المتنبى من السخرية من قواد الحروب (الدمستق وغيره)، فيتخير أقوى الألفاظ وأنكاها فى رسم صورة الهارب الذليل، الذى يفر من ميدان الحرب مخلفا وراءه فلذة كبده وأصفى جنوده، يقول مستهزئا بالدمستق:

وكنت إذا كاتبته قبل هذه ∴ كتبت إليه فى قذال الدمستق

ويقول مصورا فراره:

نجوت بإحدى مهجتيك جريحة ∴ وخلفت إحدى مهجتيك تسيل
أتسلم للخطية ابنك هاربا ∴ ويسكن فى الدنيا إليك خليل؟

فألفاظ: قذال، مهجة جريحة، مهجة تسيل، هاربا، يسكن خليل عبرت عن صغار وذل الدمستق فى الحروب المتتابعة.

ويفحش المتنبى فى المعنى مع عدم الإفحاش فى اللفظ، فيصور غباء الدمستق، وضعف خبرته فى الحروب، فيقول:

أفى كل يوم ذا الدمستق مقدم ∴ قفاه على الإقدام للوجه لائم
أينكر ريح الليث حتى يذوقه ∴ وقد عرفت ريح الليوث البهائم؟

فألفاظ: قفاه، لائم للوجه، ينكر ريح الليث، عرفت البهائم ريح الليوث، أوحت بالحمق، وعدم الاستفادة من التجارب المتكررة، وذلك فى ازدراء أدبى رائع.

* * * * * *

ويمعن أبوفراس فى السخرية من قادة الروم، فيتخير ألفاظا جارحة وينقض بها عليهم كالصقر الجارح، فيشفى غليل صدره منهم ـ خصوصا فى وقت الأسر ـ ويترفع عليهم، ولا يخضع فى أصعب الأوقات وأضيقها على نفسه، بل يظل مزهوا مفتخرا بأصله وعروبته وفروسيته.

سخر من الدمستق سخرية مريرة لفراره من المعركة تاركا ولده، فعبر بألفاظ توحى بالأنانية فقال:

وولى على الرسم الدمستق هاربا ∴ وفى وجهه عذر من السيف عاذر
فدى نفسه بابن عليه كنفسه ∴ وللشدة الصماء تقنى الذخائر!
وقد يقطع العضو النفيس لغيره ∴ وتدفع بالأمر الكبير الكبائر!

كما أكثر فى شعره من ألفاظ : الفرار، هاربا، كما زاد عن المتنبى اختيار ألفاظ تحط من شأن الروم النصارى، وترفع من قدر العرب المسلمين، مثل قوله:

فقل لابن قفاس دع الحرب جانبا ∴ فإنك رومى وخصمك مسلم
فوجهك مضروب وأمك ثاكل ∴ وسبطك مأسور، وعرسك أيم
ولم تنب عنك البيض فى كل مشهد ∴ ولكن قتل الشيخ فينا محرم
وأدى إلينا الملك جزية رأسه ∴ وفك عن الأسرى الوثاق وسلموا
فإن ترغبوا فى الصلح فالصلح صالح ∴ وإن تجنحوا للسلم فالسلم أسلم

ولا يخفى التكلف فى البيت الأخير الذى أثقل بالناس والتكرار ومما انفرد به أبوفراس، اختيار ألفاظ فاحشة قاسية فى الهجاء، وذلك فى مواقف ألحت عليه بذلك، فهو أسير ضعيف، وحوله كبار القادة يطوفون به ويتفحصونه، فأطلق هذه الزفرات سبابا لهم ولعنا وافتخارا، ولكنى آخذ عليه تعرضه للشكل الخلقى مع السخرية من الخلق.

قال فى إحدى مناظراته مع الدمستق فى الأسر:

تـــأملنى الدمســـتق إذ رآنـــى ∴ فأبصـــر صـــيغة الليـــث الهمـــام
أتنكرنـــى كأنـــك لســـت تـــدرى ∴ بـــأنى ذلـــك البطـــل المحـــامى

* * * * * *

فـــلا هننتهـــا نعمـــى بأســـرى ∴ ولا وصـــلت ســـعودك بالتمـــام
أمـا مـن أعجـب الأشـياء علـج ∴ يعرفنـــى الحـــلال مـــن الحـــرام
وتكنفـــه بطارقـــة تيـــوس ∴ تبـــارى بالعثـــانين الضـــخام
لهـم خلـق الحمـير فلسـت تلقـى ∴ فتـــى مـــنهم يســـير بـــلا حـــزام

فألفاظ: علج، تيوس، خلق الحمير بلغت من السخرية منتهاها.

ويكمل السخرية فى مناظرة أخرى بينه وبين الدمستق فى الأسر أيضا، فيقول:

أتـزعم يـا ضـخم اللغاديـد أننـا ∴ ونحن أسود الحـرب لا نعـرف الحربـا؟

* * * * * *

لقد جمعتنا الحرب من قبل هـذه ∴ فكنـا بهـا أسـدا وكنـت بهـا كلبـا

* * * * * *

تفاخرنا بالطعن والضرب فى الوغى ∴ لقد أوسعتك النفس يا ابن استها كذبا

فألفاظ (ضخم اللغاديد، كلبا، ابن استها) ضاربة فى الإفحاش والإيذاء، ولعل العذر قائم لأبى فراس فى هذا الاتجاه، فى صعوبة موقفه، ووحدته فى أسره أعزل.

* * * * * *

أما الأساليب، فجاءت قوية محكمة، لا ضعف فيها ولا ركاكة، وإنما سيطر فيها الشاعران على مقاليد الإحكام، وإن كان المتنبى أقوى اختيارا وأجزل عبارة، وتخير كل شاعر من الأساليب ما يناسب المعنى والموقف والتجربة النفسية التى يمر بها، مع المزاوجة بين الأساليب الخبرية والإنشائية والميل إلى الإكثار من أساليب الإنشاء بأدواتها المختلفة إمعانا فى الدقة،وبراعة فى الأداء.

يتحدث المتنبى عن جهل الدمستق، وغروره، فيتخير الأسلوب الخبرى الذى يصف هذا الجهل أدق وصف، فيقول:

وغر الدمستق قول العدا ∴ ة إن عليا ثقيل وصب
وقد علمت خيله أنه ∴ إذا هم وهو عليل ركب
أتاهم بأوسع من أرضهم ∴ طوال السبيب قصار العشب
ففرق مدنهم بالجيوش ∴ وأخفت أصواتهم باللجب[1]

وصف للواقع الذى حدث وتم، وتخيل كاذب من مخدوع مغرور، ونصر مؤزر لقائد بارع، وأنسب أسلوب لهذا الموقف هو الأسلوب الخبرى الذى صار حقيقة بعد كلام، فتناقلته الركبان والبلدان، وشاع خبره فى ربوع الزمان.

وإذا بلغ الغرور منتهاه، لم يصلح معه إلا الإنكار المشفوع بالشرط، يقول المتنبى مخاطبا قادة الروم:

أغركم طول الجيوش وعرضها ∴ على شروب للجيوش أكول
إذا لم تكن لليث إلا فريسة ∴ غذاه ولم ينفعك أنك فيل

فالاستفهام الإنكارى جسد الغرور الكاذب، وتوعد الشرط المستقبلى بإنهاء تلك الحالة الغرورية فى حقيقة مؤلمة.

ويصلح الشرط للتخيير بين أمرين أحلاهما مر، فالدمستق كثرت هزائمه، وستستمر مع جيوش سيف الدولة، لذا عبر المتنبى بالشرط عن هذا التكرار، فقال:

رضينا والدمستق غير راض ∴ بها حكم القواضب والوشيج
فإن يقدم فقد زرنا "سمندو" ∴ وإن يحجم فموعده الخليج[2]

كما يصلح الخبر لوصف حالة الرعب وكثرة الأهوال التى يخشاها الجبان الرعديد، فيتخير المتنبى هذا الأسلوب لوصف هلع

---

(١) ديوان أبى الطيب المتنبى بشرح العكبرى ١/ ١٠١، ١٠٢ .

(٢) شرح ديوان المتنبى للبرقوقى ١/ ٣٦٢ ، سمندو: قلعة بالروم يقال هى المعروفة ببلغراء اليوم ،والخليج : خليج القسطنطينية . القواضب: السيوف القواطع . الوشيج : عيدان الرماح.

الدمستق، والتعبير عن خوالج نفسه وما يدور فيها من نتائج لقائه بسيف الدولة، يقول المتنبى:

ذم الدمستق عينيه وقد طلعت ∴ سود الغمام فظنوا أنها قزع
فيها الكماة التى مفطومها رجل ∴ على الجياد التى حوليها جذع
تذرى اللقان غبارا فى مناخرها ∴ وفى حناجرها من آلس جرع
كأنها تتلقاهم لتسلكهم ∴ فالطعن يفتح فى الأجواف ما تسع
تهدى نواظرها والحرب مظلمة ∴ من الأسنة نار والقنا شمع
دون السهام ودون القرطافحة ∴ على نفوسهم المقورة المزع[1]

ويستخدم المتنبى أسلوب الدعاء على الشجر بالهلاك فى موقف حرج، حيث فر أحد القواد وهو ابن شميشيق، فتعقبه الأبطال. لكنه توارى خلف شجر، فلم يشف المسلمون منه صدرا، فغلت عاطفة المتنبى ولم يجد أمامه إلا الشجر الذى كان سببا فى نجاة هذا الهارب، فدعا عليه بالهلاك والثبور، قال:

فلا سقى الغيث ما واره من شجر ∴ لو زل عنه لوارى شخصه الرخم[2]

* * *

ويمازج أبوفراس بين الأسلوب الخبرى والإنشائى، ويتخير الأسلوب المناسب لكل موقف فى دقة وبراعة، ليصف خوالج نفسه، وحالات مهجويه فى كل موقف .

تحدث عن أسره ومن أعدائه عليه بترك ثيابه له،فافتخر عليهم. وجعل من الثوب علامة على نصره، وشاهدا على هزيمتهم، قال:

يمنون أن خلوا ثيابى، وإنما ∴ على ثياب من دمائهم حمر[3]

---

(١) شرح ديوان المتنبى للبرقوقى ٢/ ٣٣٥ وما بعدها ، قزع : التفرق من السحاب . اللقان موضع ببلاد الروم ، آلس: نهر هناك . القر: البرد . صافمة : مسرعة المقورة : الضامرة . المزع : السريعة.

(٢) ديوان المتنبى للعكبرى ٤/ ٢٥ ، الرخم: جمع رخمة ، وهو طائر أبقع يشبه النسر فى الخلقة.

(٣) ديوان أبى فراس ص١٦٠ .

فالأسلوب الحبرى عبر عما أراد الشاعر، ووصف شموخه فى الأسر، لتهدأ نفسه، ولا يستوحش المكان.

ويتطرق لوصف معركة الأحيدب، فيسعفه الأسلوب الخبرى. فيصف الحقائق التى شهد بها التاريخ، وأصبحت مضرب المثل. وحديث الناس، يقول:

وحسبى بها يوم الأحيدب وقعة ∴ على مثلها فى العز تثنى الخواطر
عدلنا بها فى قسمة الموت بينهم ∴ وللسيف حكم فى الكتيبة جائر
إذ الشيخ لا يلوى وتقفور محجر ∴ وفى القيد ألف كالليوث ، قساور
ولم يبق إلا صهره، وابن بنته ∴ وثور بالباقين من هو ثائر[1]

ويعبر بأسلوب الاستفهام الإنكارى عن موقف شهير؛ ليذيع فيه شهرته، كأنه أصبح علما لدى الدنيا كلها، وكأنه الزائد الوحيد عن قومه، يقول مخاطبا الدمستق:

أتنكرنى كأنك لست تدرى ∴ بأنى ذلك البطل المحامى؟ [2]

ويقف مرة أخرى مواجها الدمستق فى الأسر، فيستخدم أسلوب الأمر لغرض التأكد من بطولته وقومه، ثم يشفع هذا الأمر المكرر بالاستفهام التقريرى الذى يؤكد حجته إمعانا فى ذل الدمستق حتى وإن كان هو الآسر، يقول:

فسل بردسا عنا أخاك وصهره ∴ وسل آل بردااليس أعضمكم خطبا
وسل قرقواسا والشميق وصهره ∴ وسل سيطه البطريق أثبتكم قلبا
وسل صيدكم آل الملايين إننا ∴ نهبنا ببيض الهند عزهم نهبا
وسل آل بهرام وآل بلنطس ∴ وسل آل منوال الجحا جحة الغلبا
وسل بالبرطسيس العساكر كلها ∴ وسل بالمنسطر ياطس الروم والعربا
ألم تفنهم قتلا وأسرا سيوفنا ∴ وأسد الشرى قدنا إليك أم الكتبا؟ [3]

---

(١) المصدر نفسه ص١١٦ ، ثوربهم : أثارهم.
(٢) ديوان أبى فراس ص٢٧٥ .
(٣) المصدر نفسه ص٤٣ ، كل ما ذكر أسماء أسر وأبطال بيزنطيين.

وهكذا تخير الشاعران الأساليب الملائمة للجو النفسى، فعبرت عن المواقف أبلغ تعبير،مع قوة المتنبى ، وتفوقه فى هذا الجانب دقة وبلاغة ولم تخل الأساليب من وجود بعض المحسنات البديعية التى زين بها الشاعران الأساليب، ودعما بها المواقف المختلفة .

فمن ذلك طباق السلب فى قول المتنبى:

رضينا والدمستق غير راض ∴ بما حكم القواضب والوشيج

فوازن بالطباق بين ضدين، رضا المنتصرين، ورفض المنهزمين بحكم السيوف .

ومن المحسنات هذا الجناس الناقص فى قول المتنبى:

لقيت العفاة بآمالها ∴ وزرت العداة بآجالها

فجانس بين (العفاة ، العداة) وبين آمالها، وآجالها .

ومنه تلك المقابلة اللطيفة التى وازن المتنبى بها بين حب سيف الدولة للحروب، وبغض الدمستق لها، قال:

أتى مرعشا يستقرب البعد مقبلا ∴ وأدبر إذ أقبلت يستبعد القربا

ومن ذلك أيضا الجناس المشتق المتمثل فى تكرار حرفى السين والميم فى قول أبى فراس:

يعيب على أن سميت نفسى ∴ وقد أخذ القنا منهم ومنا
فقل للعلج: لو لم أسم نفسى ∴ لسمانى السنان لهم وكنى

ومنه حسن التقسيم فى قول أبى فراس أيضا:

فوجهك مضروب، وأمك ثاكل ∴ وسبطك مأسور، وعرسك أيم

ففى هذا التقسيم تعداد لمآسى (ابن فقاس) ووعيد له بالحرب التى ليس هو أهلا لها، ولا يخفى ما أضفاه التقسيم على المعنى من جمال وبراعة .

وهكذا استطاع الشاعران أن يعبرا عن المعانى والمواقف الشعورية، بلغة ملائمة، وأساليب متزنة لا تخلو من إمتاع وتشويق، مع تزيينها ببعض المحسنات التى أضفت جمالا وبهاء على المعانى والتصوير .

الصورة الفنية

للصورة قيمة بارزة فى العمل الأدبى ــ وخصوصا الشعر ــ . فهى "تعبر عن تجربة الشاعر الفنية التى يرمز بها للواقع كما يتخيله، وقد لا تسعفه الألفاظ فى اللغة العادية، فيرى نفسه مدفوعا بثورة خياله إلى تشكيل علاقات لغوية خاصة يؤلفها بخياله المبدع ليعبر عن رؤية خاصة به ... ويتعاون فى تشكيل الصورة حواس الشاعر وملكاته، ومقدرته فى الربط بين الأشياء المتنافرة فى الواقع لإثارة العواطف والملكات التخيلية، وقد يربط الشاعر بين الأمور المتباعدة بالتشبيه وقد يعقد الصلة بين الإنسان والطبيعة بالاستعارة فيجعل من الطبيعة ذاتا ومن الذات طبيعة خارجة، فتجمع الصورة بين التشبيه والاستعارة وغيرهما من وسائل الأداء المجازى والتصوير البلاغى"[1].

واتكأ الشاعران فى إبراز المعانى، والتعبير عن التجارب على الألوان البيانية المعروفة، من تشبيه، واستعارة وكناية، وذلك لما للتشبيه من "صلة بين طرفين متمايزين يقاس فيه شئ على شئ على أساس من التناسب الذهنى والحسى، ولما للاستعارة من خاصية الاندماج والانصهار والخلط والتفاعل بين الدلالات بحيث تشكل الأشياء فيها تشكيلا خاصا على نحو من الادعاء القائم على التحويل والتبديل والتغيير، ولما للكناية من خاصية الاكتنان والستر والتغطية وتغليف المعنى المقصود بغلاف رقيق شفاف حيث يكون التعبير باللفظ الذى يحوى معنى يفهم منه معنى آخر"[2].

---

(١) الصورة الفنية فى شعر دعبل بن على الخزاعى، د/على ابراهيم أبوزيد ص٢٤١، ٢٤٢ ــ دار المعارف بمصر ــ الطبعة الثانية ١٩٨٣م.

(٢) التصوير البيانى فى شعر المتنبى ، د/ الوصيف ابراهيم ص٥٨ مكتبة وهبة القاهرة ، الطبعة الأولى ٢٠٠٦م.

وظف الشاعران صورهما توظيفا بديعا، ففى التشبيه نرى الإبداع المتمثل فى الجمع بين أطراف التشبيه، واستخدام الأنواع المختلفة له، مع التعبير به عن الموقف الشعورى القائم، من هجاء أو سخرية، أو رسم صورة الحزن واليأس، أو للتطاول فى مقام الزهو بالنصر والسيطرة على الأعداء.

وفى الحديث عن الحروب وما يتصل بها، أبدع الشاعران إبداعا واضحا، فالمتنبى قال "أروع شعره فى تصوير المعارك والوقائع، إذ كان يحضر مع سيف الدولة حروبه لبيزنطة ويبدى صورا من البطولة والمغامرة ، إذ كان فارسا مغوارا، وقد ازدادت معرفته بالسلاح والحرب منذ لزم سيف الدولة، وكان وهو يصف الخيل والفرسان بشعره، وكأنه مصور أمام لوح يودعه الخطوط المعبرة والألوان الناطقة، ولم يترك منظرا من مناظر الفوز والهزيمة إلا صوره، كما انطبع فى باله وخالط إحساسه"(١).

ولم تقل معرفة أبى فراس بالحرب وفنونها عن المتنبى: بل على العكس فقد ازدادت معرفته بها، وتوثقت صلاته بأصولها فى كثير من المعارك التى قادها ضد الروم، فكان فارسا مغوارا، وبطلا صنديدا، عركته الحروب، وصهرته المواقف المختلفة بين النصر والهزيمة.

استعان المتنبى بالتشبيه فى رسم صورة قتلى المسلمين عند هزيمتهم فى إحدى معارك الروم، فقال:

قل للدمستق إن المسلمين لكم ∴ خانوا الأمير فجازاهم بما صنعوا
وجدتموهم نياما فى دمائكم ∴ كأن قتلاكم إياهم فجعوا

فالصورة بديعة حقا، رسمها بالتشبيه التمثيلى ، فصور القتلى وهم غرقى فى دماء الأعداء، فكأن دماء قتلى الأعداء سبب فى

(١) المتنبى، د/ زكى المحاسنى ص٣٠ وما بعدها ، دار المعارف بمصر الطبعة السادسة ٢٠٠٧م .

الهزيمة؛ بما أحدثته من نيام وفجيعة، وما كان المتنبى ليعتذر هذا الاعتذار البديع لولا التشبيه التمثيلى.

ويستخدم التشبيه البليغ فى موقف آخر، هو موقف العز والانتصار والفخار، موقف انتصر فيه سيف الدولة، وجاءته رسل ملك الروم تطلب الصلح والعفو، فاغتنم المتنبى الفرصة، وصور هذا الموقف بالتشبيه البليغ، فقال:

دروع لملك الروم هذى الرسائل ∴ يرد بها عن نفسه ويشاغل
هى الزرد الضافى عليه ولفظها ∴ عليك ثناء سابغ وفضائل

صورة بديعة حقا، نسجها المتنبى من خيال طامح للعلا، وقد زاد من جمال الصورة تكرار التشبيه مع المفارقة الموجودة فى الصورتين، فالرسائل دروع لملك الروم يحتمى بها من هجوم سيف الدولة ويشاغل بها بعض الوقت، وهى زرد ضافى يحتمى بها الملك المهزوم، أما الرسائل فى جانب سيف الدولة المنتصر فألفاظ ثناء، وعبارات فضل وتقدير.

ونختم الحديث عن تشبيهات المتنبى بهذا التشبيه الرائع، الذى يصور فيه وقع الرماح وكثرتها على ابن شمشقيق، فيصف ذلك من خلال رسم صورة لقوة الدرع التى حملت عنه وابلا من الرماح. ثم يمعن فى تصوير متانة الدرع بأن ما جاءها من ضربات لم يؤثر فيها إلا بمقدار تأثير خط القلم فى الكاغد، يقول:

ترد عنه قنا الفرسان سابغة ∴ صوب الأسنة فى أثنائها ديم
تخط العوالى فيها ليس تنفذها ∴ كأن كل سنان فوقها قلم[1]

ويدلى أبوفراس بدلوه فى استخدام التشبيه، فيحسن التعبير به، ويتقن التصوير بأجزائه وأنواعه، حسب الموقف ونوع الإحساس، فنراه يستخدم التشبيه التمثيلى، ويوسع فى مفرداته فى موقف النصر، والسيطرة على الأعداء، يقول:

(١) ديوان المتنبى بشرح العكبرى ٤/ ٢٥.

وأرماحنا فى كل لبة فارس ∴ تثقب تثقيب الجمان وتنظم

فالأرماح كالإبر، ولبات الأعداء كالعقود، والمنتصرون يثقبون تلك اللبات وينظمون فيها الضربات كما تنظم العقود الثمينة، ولم يكن للتعبير أن يأتى بهذا الإبداع لولا استخدام التشبيه، وتوظيفه بهذه الصورة .

ويكرر الشاعر تلك الصورة التمثيلية فى خطابه الدمستق فى الأسر، فيذكره بموقف الهزيمة والشتات فى بطن الفلاة، يقول مفتخرا عليه:

تركناك فى بطن الفلاة تجوبها ∴ كما انتفق اليربوع يلتثم الترب[1]

فالذل والهوان باديان فى صورة اليربوع الذى يلتثم التراب من شدة العطش والجوع، مع هول الفزع والرعب ، وقد تحقق كل هذا بفضل الصورة التشبيهية .

ويعود أبوفراس فى الموقف نفسه (موقفه بين يدى الدمستق فى الأسر) فيفخر عليه، مستخدما التشبيه البليغ فى الفخر والهجاء. يقول:

لقد جمعتنا الحرب من قبل هذه ∴ فكنا بها أسدا وكنت بها كلبا

فالصورة حسية، وزاد من جمالها الإتيان بالجمع فى جانبه. والإفراد فى جانب المهجو، كما كان للفعل الماضى أثره فى ذلك (كنا. كنت) للدلالة على إقرار الواقع الذى اشتهر بين البشر، ولشفاء غليله من هذا المتغطرس المتحكم فى الشاعر بالأسر والحبس .

ويصر على التصوير الحسى فى الهجاء ، فيستخدم التشبيه البليغ مرة أخرى فى رسم صورة البطارقة الذين تحلقوا حول الدمستق عند مناظرته الشاعر فى الأسر، فيرسم لهم صورا مضحكة ساخرة، فلحاهم تشبه لحى التيوس، وأحزمتهم كأحزمة الحمير، يقول:

---

(١) ديوان أبى فراس ص٤٣ .

وتكنفه بطارقة تيوس ∴ تبارى بالعثانين الضخام
لهم خلق الحمير فلست تلقى ∴ فتى منهم يسير بلا حزام

وزاد من جمال الرسم وإتقانه ، التنكير فى قوله (تيوس). والفعل (تبارى) الذى يتوقع بعده شئ ذو بال فى الفخر فيفاجأ المتلقى بتفاهة المفتخر به، والقصر بالجار والمجرور (لهم) ، وكلمة (فتى) التى تدل على ضعف الهمة لدى الشباب عندهم، ففتيانهم لا تختلف عن شيوخهم.

ويكرر أبوفراس استخدام التشبيه فى مواقف الاستهزاء من القادة، فيصور جبن ونذالة الدمستق عند هربه تاركا ولده فى قبضة جيش سيف الدولة، ويستخدم التشبيه الذى يؤكد هذا المعنى، يقول:

فدى نفسه بابن عليه كنفسه ∴ وللشدة الصماء تقنى الذخائر

وللمتلقى أن يتأمل أجزاء الصورة، نفس، ابن كنفس، ثم الحكمة التى ذيل بها الصورة التشبيهية ــ مع عدم انطباقها عند العقلاء ــ وكأن الدمستق قد ربى ولده لهذا اليوم العصيب ليكون فداء له.

ويأتى دور الاستعارة فى تشكيل الصورة، فنجد الشاعرين يستخدمانها فى تلوين الصورة، وإسباغ المعانى روحا مجسدة، فيضفيان بها مفاهيم شعورية زائدة تتسق والمواقف المعبر عنها.

يصور بها المتنبى قوة سيف الدولة، ويفخر بنصره على أعداء الروم ــ مع كثرة عددهم وعتادهم، فيقول:

أغركم طول الجيوش وعرضها ∴ على شروب للجيوش أكول[1]

فالجيوش الرومية مهما كثر عددها، فهى طعام وشراب لسيف الدولة، وهذه صورة رائعة، تدل على السيطرة التامة ، كما أنها تجسد عادات سيف الدولة فى الحروب، فهى كعادة الأكل والشراب، ولا ننسى استخدام صيغتى المبالغة (شروب، أكول) والاستفهام

(١) ديوان المتنبى بشرح العكبرى ٣/ ١٠٦ .

الإنكارى فى أول البيت ـ ومما يؤكد قيمة الاستعارة معرفة الحالة التى عبرت عنها القصيدة، فقد قيلت عقب انهزام المسلمين فى إحدى المعارك.

ويزدرى الدمستق، ويسخر منه سخرية لاذعة باستخدام الاستعارة، فيصوره مهزوما مدحورا فى كل لقاء، ويؤكد أن علامة هزائمه ختم على قفاه!، فيتحين زمن مكاتبة ملك الروم وطلب الصلح، فيقول مخاطبا سيف الدولة:

وكنت إذا كاتبته قبل هذه ∴ كتبت إليه فى قذال الدمستق

ألا ما أروع تلك الصورة، وما أجمل تلك الموازنة. فأدوات الكتابة الآن القلم والقرطاس، وأما أدواتها فى الحروب فهى الرماح والسيوف صفعات على قذال الدمستق ليبلغ تلك الرسالة لمليكه!!

ويسخر مرة أخرى من الدمستق عند فرارد وترك ولده "قسطنطين" ـ على الرغم من منزلته عنده ـ يقول:

نجوت بإحدى مهجتيك جريحة ∴ وخلفت إحدى مهجتيك تسيل

فالتلاعب بالألفاظ (مهجتيك، مهجتيك) فى هذا الجناس التام الجميل، والموازنة بين الحالين (بجريحة، تسيل)، والجمع بين مفردات الصورة الاستعارية المتباعدة، شكل جمال الرسم بالكلمات. وأضفى على الموقف شعورا غامرا بالنصر والعزة فى جانب المسلمين ، وشعورا بالذل والانكسار فى جانب الروم.

ويرسم أبوفراس عدة صور مستخدما الاستعارة، فيقول فى إحداها:

وحسبى بها يوم الأحيدب وقعة ∴ على مثلها فى العز تثنى الخواطر
عدلنا بها فى قسمة الموت بينهم ∴ وللسيف حكم فى الكتيبة جائر[1]

تجسيد للمعنوى، وإسباغ صفة المحسوس عليه، فالخواطر بساط عربى عزيز، يثنى على العزة والكرامة، والسيف حكم فى

(١) ديوان أبى فراس ص١١٥ .

الأعداء، لكنه جائر هذه المرة؛ لكثرة ما قتل من الأعداء، واستطاع أبوفراس بذكائه أن يجمع بين الصورتين المتباعدتين في الظاهر، لكنهما متقاربتان في الشعور، فلا يثنى الخاطر على العز إلا بضرب الأعداء والسيطرة على المعركة .

ويكمل أبوفراس رسم صورة نفسه، فيستخدم الاستعارة في الفخر على الدمستق في المناظرة السابقة ، يقول:

ومن ذا يلف الجيش من جنباته .·. ومن ذا يقود الشم أو يصدم القلبا؟

صورة لفارس مغوار، خبر الحروب وقادها ببراعة، وشهد له بذلك أعداؤه قبل أصدقائه، فهو يخاطب الدمستق الذى خبره في الحروب، فيسأله متعجبا من غبائه، ويطلعه على استهانته بقيادة الجيش الذى يشبه البساط في طواعيته لمن يمسك به ويوجهه كيفما شاء، وساعد على جمال الاستعارة تكرار السؤال مع تغير المستفهم عنه، فهو تعداد للصفات وافتخار بالشيم .

فالاستعارة بمالها من قيمة ساعدت الشاعرين على التعبير عن التجربة، حيث تفوق "التشبيه ــ من حيث القيمة الفنية وذلك لما يتحقق فيها من تفاعل وتداخل في الدلالة على نحو لا يحدث بنفس الثراء في التشبيه، ولما يظهر من قدرة الاستعارة على إدخال عدد كبير من العناصر المتنوعة داخل نسيج التجربة الشعرية"(١).

* * * * * *

كما توسل الشاعران بالكناية في رسم بعض الصور، والتعبير عن كثير من التجارب، والكناية "هى الأسلوب الذى ييسر للمرء أن يقول كل شئ، وأن يعبر عن كل ما يجول بخاطره، وحسنها في الموضع الذى لا يحسن فيه التصريح أصل من أصول الفصاحة، وشرط من شروط البلاغة"(٢).

---

(١) الصورة الفنية في شعر دعبل ص٢٩٢ .

(٢) علم البيان د/ عبدالرازق أبوزيد ص١٤٢ نقلا عن: الصورة الفنية في شعر دعبل ص٣١٦ .

استعان بها المتنبى فى رسم صورة جيش الروم فى وقعة (قلعة الحدث)، فأراد أن يترك للمتلقى التخيل فى تحديد عدده وعتاده، فلم يجد أمامه إلا الكناية تاركا التصريح ، ليكون أبلغ فى تذوق النصر على هذا الجيش الجرار، المسلح بما لا يعد ولا يحصى من أدوات الحرب، قال:

أتوك يجرون الحديد كأنهم ∴ سروا بجياد ما لهن قوائم
إذا برقوا لم تعرف البيض منهم ∴ ثيابهم من مثلها والعمائم
خميس بشرق الأرض والغرب زحفه ∴ وفى أذن الجوزاء منه زمازم
تجمع فيه كل لسن وأمة ∴ فما تفهم الحداث إلا التراجم[1]

ولم يفرد المتنبى الكناية وحدها فى تلك الصورة، بل جمع معها التشبيه فى البيت الأول، والاستعارة فى البيت الثالث، فجاءت الكناية غاية فى البلاغة والروعة.

ويكنى عن سيطرة جيش سيف الدولة على الدمستق وجيشه، فيرسم بالكناية تلك الصورة الدقيقة فى الفهم، الواسعة فى التخيل، فيقدم لها بالشرط والجواب فى الشطرين. يقول:

رضينا والدمستق غير راض ∴ بها حكم القواضب والوشيج
فإن يقدم فقد زرنا "سمندو" ∴ وإن يحجم فموعده الخليج[2]

فالشطر الأول من البيت الثانى أكد الماضى، والثانى هدد بما ينتظره مستقبلا.

ويستخدم اللون فى تأكيد ما يصبو إليه من التكنية، فيقول مصورا كثرة السبى فى إحدى المعارك:

عصفن بهم يوم اللقان وسقنهم ∴ بهنريط حتى ابيض بالسبى آمد[3]

---

(١) ديوان المتنبى بشرح العكبرى ٣/ ٣٨٤، ٣٨٥ .
(٢) شرح ديوان المتنبى، للبرقوقى ١/ ٣٦٢، سمندو: قلعة بالروم يقال هى المعروفة اليوم ببلغراد.
(٣) السابق ١/ ٣٩٧، اللقان، هنريط: من بلاد الروم.

ويرسم صورة للدمستق الجبان الذى يرهب من لا شئ. فيستخدم الكناية فى السخرية به، فيقول:

ذم الدمستق عينيه وقد طلعت ∴ سود الغمام فظنوا أنها قزع

فالشطر الأول كناية عن الفزع، وذلك فى ذم العينين، وإنى ألم صورة السخرية بادية فيها، حيث يذم الحمار عينيه عند الفزع.

ويمعن المتنبى فى السخرية من الدمستق، فيصوره أحط من البهائم، تاركا للمتلقى سعة التخيل فى صفات المهجو، ويكنى عن ذلك بقوله:

أينكر ريح الليث حتى يذوقه ∴ وقد عرفت ريح الليوث البهانم؟

ويستخدم أبوفراس الكناية فى التعبير عن صور شى، فيكنى عن التمكن من قادة الروم ملكا وشعبا، يقول:

إذ الشيخ لا يلوى وتقفور مجحر ∴ وفى القيد ألف كالليوث، قساور
ولم يبق إلا صهره، وابن بنته ∴ وثور بالباقين من هو ثائر

سيطرة تامة، وتصنيف عجيب، بين هارب، وأسير، وقتيل. كما أن اتساع دائرة النصر واضح من تلاحق الكنايات فى مختلف الجمل.

وتبلغ السخرية من الدمستق مداها، فيجرده من الفكر والمعرفة. ويكنى عن ذلك بكناية لطيفة، طارحا التعجب أول البيت، يقول:

أما من أعجب الأشياء علج ∴ يعرفنى الحلال من الحرام[1]

ولا يخفى الجمال فى قوله (الأشياء) حيث جعله هملا لا قيمة له فهو من الأشياء، وليس من الذوات.

ويستخدم اللون فى الفخر بشجاعته وإقدامه، وكثرة القتل فى الأعداء، فيقول مكنيا عن ذلك :

يمنون أن خلوا ثيابى، وإنما ∴ على ثياب من دمانهم حمر[2]

وهكذا أسهمت الكناية فى تصوير المشاعر، ورسم الصور فى شتى المواقف .

---

(١) ديوان أبى فراس ص٢٧٦ .
(٢) المصدر نفسه ص١٦٠ .

ولم تقتصر الصور لدى الشاعرين على تلك الألـوان، وإنمـا تعاونت ألوان أخرى من علم البديع الذى ورد بصورة قليلة، لكنهـا غير متكلفة على كل حال، وأدت إلى إتمام المعنى المراد مـن غيـر كلفة أو إفساد للتجربة، منها على سبيل المثال: قول المتنبى:

للسبى ما نكحوا،والقتل ما ولدوا، ∴ والنهب ما جمعوا،والنار ما زرعوا[1]

ففى البيت حسن تقسيم، وزع فيه المتنبى مهمات الجيش على أربعة أنواع، وكل نوع أشد من الآخر نكاية فى العدو، وإضرارا به؛ مع أن المتنبى لم يوفق فى كلمة (النهب) لعدم تناسقها مـع أخـلاق الجيش المسلم.

ومن حسن التقسيم قول أبىفراس يخاطب "ابن فقاس":

فوجهك مضروب، وأمك ثاكل ∴ وسبطك مأسور، وعرسك أيم[2]

فجمال الصورة يبدو فى هـذا التوزيـع الإيلامـى (جسـديا، ومعنويا) للمهجو، وهو أحد قادة الروم ، وقد استطاع أبـوفراس أن ينال منه واقعيا من خلال ما يفعله به وبأمثاله فـى الحـروب، مـن ضرب وقتل وأسر وغيره.

ومن المحسنات الرائعة، الجناس المشتق فى قول أبى فـراس فى القصيدة ذاتها :

فإن ترغبوا فى الصلح فالصلح صالح ∴ وإن تجنحـوا للسـلم فالسـلم أسـلم

تلاعب بالألفاظ لتجميل المعنى، وتلـوين الصـورة بـالحروف والكلمات المكررة ولا يخفى استفادته من القرآن الكريم فـى قولـه تعالى: ﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا ﴾[3].

ويجمع أبوفراس فى بيتين بين أكثر من محسن بـديعى فـى عفوية خالصة، وإبداع رائع، فيقول مخاطبا الدمستق:

---

(١) شرح ديوان المتنبى، للبرقوقى ٢/ ٣٣٤ .
(٢) ديوان أبى فراس ص٢٨٢ .
(٣) سورة الأنفال ، الآية ٦١ .

يعيب علـى أن سميت نفسى ∴ وقـد أخـذ القنـا مـنهم ومنـا
فقل: للعلج لو لم أسم نفسى ∴ لسمانى السنان لهم وكنى[1]

فالتكرار فى حرفى السين والميم، والطباق (سميت، لم أسم). والتقديم فى منهم ومنا ــ كل ذلك صور شخص أبى فراس المنتصر الفخور بعزته ، وهذا يقتضيه مقامه الذى هو فيه فى الأسر، وتتطلب تلك المحاجة مع الدمستق، وقد تعاونت هذه الألوان على إبراز الصورة الجمالية فى البيتين ·

ومما جمع فيه المتنبى بعض المحسنات، قوله يصف هزيمة الدمستق وهربه بعد تركه ولده وجيشه:

لذلك سمى ابن الدمستق يومه ∴ مماتا، وسماه الدمستق مولدا
سريت إلى جيحان من أرض آمد ∴ ثلاثا لقد أدناك ركش وأبعدا
فولى وأعطاك ابنه وجيوشه ∴ جميعا، ولم يعط الجميع ليحمدا[2]

فالتكرار بين الكلمات (سمى، الدمستق)، والطباق (مماتا. مولدا)، (أدنى، أبعد) ، والمقابلة فى البيت الأخير؛ كل هذه الألوان المتتابعة أعطت بعدا للصورة الكاريكاتورية لهذا المنهزم الجبان. ومما ساعد على ذلك عدم تكلف المتنبى لها؛ إذ أنه يصور الحقيقة والواقع فى هذا الرسم البديع·

ومما يؤكد ما ذهبت إليه من العفوية وعدم التكلف. قول المتنبى يصور فزع رسول ملك الروم فى مبالغة مقبولة:

أتاك يكاد الرأس يجحد عنقه ∴ وتنقد تحت الذعر منه المفاصل

فكلمة (يكاد) خففت من حدة المبالغة ، وأدخلتها دائرة الممكن المعقول كما أشار إلى ذلك كثير من النقاد والبلاغيين·

---

(١) ديوان أبى فراس ص٣٠١ ·
(٢) ديوان المتنبى بشرح العكبرى ١/ ٢٨٣ ، جيحان : نهر ببلاد الروم·

الموسيقى

تحدث كثير من النقاد عن ارتباط الوزن والقافية بالتجربة الشعورية، ورأوا أن التجربة تفرض على الشاعر اختيار الوزن المناسب والقافية المناسبة، كما ربطوا بين تلك التجربة وموسيقى النص الداخلية، وهذا الرأى فيه جانب من الصحة وليس الأمر على إطلاقه، وفى التجارب التى نتعرض لدراستها عند المتنبى وأبىفراس تحقق هذا الأمر بصورة كبيرة، إذ تخير الشاعران أوزانهما بدقة وعناية، كما تخيرا القوافى بالدقة نفسها.

جاءت أوزان الشاعرين مناسبة للتجارب الشعورية، فكل النصوص التى ندرسها للمتنبى وردت فى مقام حروب الروم، فوصف فيها الحرب، وامتدح سيف الدولة وجندد، وسخر من قادة الروم وما فعلوه من فرار وجبن فتخير لهذه التجارب بحورا طويلة تتسع لمعانى الحرب، والفخر، والهجاء، فورد بحر الطويل عنده تسع مرات، كما ورد بحر البسيط ثلاث مرات، وجاء الوافر مرة، والخفيف مرة. والمتقارب مرة ارتجالا.

وهذه البحور بتفعيلاتها الكثيرة والمتنوعة تصلح لبسط التجارب التى أشرنا إليها، قال يصف شدة المعركة، ويصور فزع الروم منها، واندحارهم فيها:

إذا دعا العلج علجا حال بينهما ∴ أظمى تفارق من أختها الضلع
أجل من ولد القفاس منكتف ∴ إذ فاتهن وأمضى منه منصرع
وما نجا من شفار البيض منفلت ∴ نجا ومنهن فى أحشائه فزع
يباشر الأمن دهرا وهو مختبل ∴ ويشرب الخمر حولا وهو ممتقع[1]

فبحر البسيط اتسع لتجربته، وبسط له مجالا فى القول كثرة وإبداعا، فالبيت الأول ضم إحدى عشرة كلمة، وجاء فى جملتين،

(١) شرح ديوان المتنبى، للبرقوقى ٢/ ٣٣٧ .

وصور الهول والفزع الذى يصرف العلج عن أخيه، وذكر سبب الهول والتفرقة، وهو السيف الذى يفرق الأضلاع.

ولولا: مستفعلن فعلن مستفعلن فعلن ∴ مستفعلن فعلن مستفعلن فعلن

ما تحقق كل هذا المعنى فى بيت واحد.

ويتناسب بحر المتقارب مع تجربة جديدة، عبر عنها المتنبى فى دقة وإتقان، إذ دخل على سيف الدولة فى حضور رسول ملك الروم، وقد ألقيت لبؤة مقتولة بين يديه مع أشبال لها على قيد الحياة، فتحركت شاعرية المتنبى ارتجالا بثلاثة أبيات جاءت برسالة للرسول ليبلغها لملكه ورعيته، فقال:

لقيت العفاة بآمالها ∴ وزرت العداة بآجالها
وأقبلت الروم تمشى إليـ ∴ ـك بين الليوث وأشبالها
إذا رأت الأسدة مسبية ∴ فأين تفر بأطفالها؟

فالتشابه فى الموقف أوحى إلى المتنبى تشابها فى اختيار تفاعيل البحر، فتخير (المتقارب):

فعولن فعولن فعولن فعـو ∴ فعولن فعولن فعولن فعو

وصرح بتشابه الحال؛ لينقل الرسول تلك القوة والثقة لملك الروم فيزداد فزعا على فزعه.

والمتنبى مصور بارع ــ خصوصا فى وصف الحرب والمعركة ــ "إذ كان يحضر مع سيف الدولة حروبه لبيزنطة ويبدى ضربا من البطولة والمغامرة، إذ كان فارسا مغوارا، وقد ازدادت معرفته بالسلاح والحرب منذ لزم سيف الدولة"(١).

ودارت كل نصوص أبى فراس فى هذه الدراسة حول حروب الروم وما يتعلق بها، من وصف للحرب، وتصوير للنصر، وسخرية من الهزيمة والفرار، أضف إلى كل هذا وصف معاناته فى الأسر وافتخاره على الروم فى عقر دارهم، فتخير لكل هذه المعانى أوزانا

(١) المتنبى د/ زكى المحاسنى ص٣٠.

مناسبة للمواقف الشعورية التى يعبر عنها، ومعظمها يتطلب بحورا طويلة، فجاء الطويل خمس مرات، والكامل مرتين، والوافر (الحزين) مرتين، وجاء مجزوء الكامل مرة واحدة.

ففى إحدى تجاربه داخل الأسر يفخر على الدمستق، ويسخر منه شكلا وفكرا، فلم يجد إلا الطويل المنبسط ليصب فيه نفثاته المتتالية المتنوعة كتنوع تفعيلاته، فيفرد قصيدة طويلة لهذه التجربة. يقول فى أولها:

أتزعم يا ضخم اللفاديد أننا ∴ ونحن أسود الحرب لا نعرف الحربا؟
فويلك من للحرب إن لم تكن لها ∴ ومن ذا الذى يمسى ويضحى لها تربا
ومن ذا يلف الجيش من جنباته ∴ ومن ذا يقود الشم أو يصدم القلبا
وويلك من خلى ابن أختك موثقا ∴ وخلاك باللقان تبتدر الشعبا
أتوعدنا بالحرب حتى كأننا ∴ وإياك لم يعصب بها قلبنا عصبا
لقد جمعتنا الحرب من قبل هذه ∴ فكنا بها أسدا وكنت بها كلبا[1]

فصعود السباب ونزوله، وتتابع السخرية واختلاف أسبابها، تشابه مع كثرة التفعيلات واختلافها فى البيت الواحد.

وتقع مناظرة بين الدمستق وبين أبى فراس فى الأسر الذى هد قواه، فيحاول الشاعر أن يتماسك أمام العدو، ولكنه يتخير وزنا حزينا متشابه التفعيلات كتشابه لياليه وأيامه الطوال داخل الأسر، ونراه يكثر من الحكمة داخل هذه القصيدة، يقول:

تأملنى الدمستق إذ رآنى ∴ فأبصر صيغة الليث الهمام
أتنكرنى كأنك لست تدرى ∴ بأنى ذلك البطل المحامى
ولما أن عقدت صليب رأيى ∴ تحلل عقد رأيك فى المقام
وكنت ترى الأناة وتدعيها ∴ فأعجلك الطعان عن الكلام
ولا أرضى الفتى ما لم يكمل ∴ برأيى الكهل إقدام الغلام
فلا هنئتها نعمى بأسرى ∴ ولا وصلت سعودك بالتمام[2]

(١) ديوان أبى فراس ص٤٢.
(٢) المصدر نفسه ص٢٧٥.

ويفجؤه الأعداء بالأسر، فيقع فى أيديهم بعد حروب طويلة معهم، فيصف هذه المفاجأة المباغتة بنفس قصير، وبحر مجزوء فى بيتين، يقول:

ما للعبيد من الذى ∴ يقضى به الله امتناع
ذدت الأسود عن الفرا ∴ نس، ثم تفرسنى الضباع[1]

ولا يخفى هذا التذييل فى الضرب ليتناسب مع طول الحسرة، وبغتة الأسر .

ونود أن نشير إلى أن الشاعرين اتفقا فى بعض البحور، وتفرد كل واحد منهما ببعض البحور، فاتفقا فى الطويل والوافر، وانفرد المتنبى بالبسيط، والخفيف، والمتقارب، كما انفرد أبوفراس بالكامل ومجزوئه على نحو ما أشرنا سابقا.

ومما يلحق بالموسيقى الخارجية، الحديث عن القافية، وكلما كانت القافية متمكنة فى مكانها، غير قلقة جاءت رنانة مؤثرة. أما إذا كانت مجلوبة قسرا فتأثيرها حينئذ ضعيف غير فعال.

وتمكن الشاعران فى الإتيان بقوافيهما تمكنا ملحوظا، فعبرت القوافى على المعانى خير تعبير ، وأثرت فى المشاعر والأحاسيس تأثيرا بالغا، أضف إلى ذلك انتفاء حروف الروى التى بنيت عليها القصائد انتقاء بارعا أثر بدوره فى موسيقى الشعر تأثيرا واضحا .

فالمتنبى اختار قوافيه اختيارا دقيقا، ونلاحظ على جميع حروف رويه أنها متحركة مشبعة بالحركات (الفتح والكسر والضم) فى كل الحروف التى جاء بها رويا، كما أشبع كثيرا منها بحروف المد (الألف، الواو، الياء)، وهذا له دلالته من حيث المعنى؛ لإمكان طول النفس فيما يعبر عنه من معان سارة فى انتصار القائد العربى، وافتخار باندحار القائد الرومى ، وجاءت الحروف على هذا النحو:

---

(١) ديوان أبى فراس ص١٨٨ .

الميم أربع مرات، اللام أربع مرات، الدال مرتين، الباء والجيم والعين والقاف والراء بواقع مرة واحدة لكل حرف، وقد عبر كل حرف عن المعنى والروح الشعرية المقصودة فى النص، يقول المتنبى ساخرا من المسلمين المنهزمين المقتولين أو المأسورين:

قل للدمستق إن المسلمين لكم ∴ خانوا الأمير فجازاهم بما صنعوا
وجدتموهم نياما فى دمائكم ∴ كأن قتلاكم إياهم فجعوا
ضعفى تعف الأيادى عن مثالهم ∴ من الأعادى وإن همو بهم نزعوا
لا تحسبوا من أسرتم كان ذا رمق ∴ فليس يأكل إلا الميت الضبع

فحرف العين من حروف الحلق ، وقد اختاره المتنبى هنا دلالة على المرارة التى يحسها فى حلقه تجاد تلك الهزيمة، ويؤكد ذلك الضمة التى تعبر عن محاولة تجميع قواد فى إطلاق أناته، بالإضافة إلى واو الجماعة وألف الإطلاق فى ثلاثة أبيات متتالية ليطيل صوته فى مناداة هؤلاء المنهزمين، ويهيب بغيرهم ألا يقعوا فى مثل ما وقع فيه ضعاف الجند، فهو تسلية لسيف الدولة، واعتذار عن الهزيمة.

ونراه فى موقف آخر يختار حرف القاف رويا، فيقول فى ذكرى الفداء الذى طلبه ملك الروم:

رأى ملك الروم اختيارك للندى ∴ فقام مقام المجتدى المتملق
وخلى الرماح السمهرية صاغرا ∴ لأدرب منه بالطعان وأحذق
وكاتب من أرض بعيد مرامها ∴ قريب على خيل حواليك سبق
وقد سار مسراك منه رسوله ∴ فما سار إلا فوق هام مفلق

* * * * * *

فإن تعطه منك الأمان فسائل ∴ وإن تعطه حد الحسام فأخلق[1]

فحرف القاف من حروف القلقلة، وهو مناسب لحالة ملك الروم التى يحياها فى تذبذب ووجل، ولم يعلم عاقبة كتبه التى طلب فيها الفداء لأسراه عند سيف الدولة، كما أن الكسرة عبرت عن انكسار

(١) ديوان المتنبى بشرح العكبرى ٢/ ٣١١ وما بعدها.

نفسه وصغار روحه مما جعله يتملق سيف الدولة، ويبدى رضاه عنه وارتياحه لأفعاله !

ويأتى أبوفراس فى شعره بروى مناسب لما يعبر عنه أيضا. فيتفق مع المتنبى فى كثير من الحروف، وينفرد بحروف لم يأت بها المتنبى، فيشترك معه فى اللام والميم، والدال والراء والباء والعين. وينفرد بالنون مرتين، كما يزيد عن المتنبى باختياره حرف العين الساكن مرة واحدة، ولذلك دلالته المعنوية التى سنبينها.

اختار أبوفراس حرف الراء المضموم رويا لقصيدته التى يفخر فيها بالانتصار، ويعير الدمستق بالفرار من المعركة تاركا ابنه مكبلا ذليلا، قال:

فلما رأت جيش الدمستق راجعت ∴ عزائمها، واستنهضتها البصائر
وما زلن يحملن النفوس على الوجى ∴ إلى أن خضبن بالدماء الأشاعر
وأبن بقسطنطين وهو مكبل ∴ تخف بطاريق به وزراور
وولى على الرسم الدمستق هاربا ∴ وفى وجهه عذر من السيف عاذر
فدى نفسه بابن عليه كنفسه ∴ وللشدة الصماء تقنى الذخائر

فالراء بجهارتها وفخامتها مكنته من الجهر بالعظمة والسيطرة على المعركة، كما أن للضمة دورا فى تصوير التمكن من العدو وضمه فى سلاسل محكمة، بحيث لا يستطيع الفرار، ولا يقوى الدمستق نفسه على إنقاذه.

ويقع أبوفراس أسيرا فى كمين نصب له، فلا يجد بدا من التسليم لقضاء الله، فيتخير الروى المناسب لهذا الموقف، وهو العين الساكنة التى تعبر عن سكونه ورضاه، وتناسب مرارة الحلق وانحباس العزيمة، ويضيف لذلك كله تذييلا فى الضرب، يقول:

ما للعبيد من الذى ∴ يقضى به الله امتناع
ذدت الأسود عن الفرا ∴ ئس ، ثم تفرسنى الضباع

كل هذه النماذج برهنت على تمكن الشاعرين من القوافى، فجاء الاختيار موفقا، ومناسبا للمواقف الشعورية، فأعطاها جمالا فوق جمال، وروعة فوق روعة .

بقى الحديث عن الموسيقى الداخلية المتمثلة فى انتقاء الألفاظ، وتكرار بعض الكلمات، وانسجام الكلمات داخل العبارة ، وتكرار بعض الحروف، وقد وفق الشاعران إلى حد كبير فى هذه المسألة .

قال المتنبى مصورا كتب ملك الروم:

وكاتب من أرض بعيد مرامها ∴ قريب على خيل حواليك سبق

فلفظ (كاتب) وما فيه من المفاعلة والمجاهدة للنفس فى إذلالها وإذعانها لهذا الملك المنتصر، والتنكير لكلمة (أرض) للتحقير، ثم وصفها (بعيد مرامها) والطباق بين (بعيد مرامها، قريب على خيل) وتنكير (خيل) للتكثير والتعظيم، ووصف الخيل بـ(سبق) وهى صيغة مبالغة أدت المعنى المطلوب؛ كل ذلك أدى إلى انسجام الموسيقى الداخلية، ودل على تمكن المتنبى من ناصية اللغة .

ويقول المتنبى ساخرا من فرار الدمستق، وتركه ولده:

نجوت بإحدى مهجتيك جريحة ∴ وخلفت إحدى مهجتيك تسيل

فتكرار حرف الجيم، والمجانسة بين (مهجتيك)، ووصف الأولى (جريحة) ووصف الثانية (تسيل)، وزيادة المبنى فى كلمة (خلفت) بالتشديد للتأكيد، كل ذلك عبر عن رهافة الموسيقى الداخلية، وانسجامها مع التجربة الشعورية التى يعبر عنها الشاعر .

كما تمكن أبونواس من لغته، فجاءت موسيقاه الداخلية منسجمة طيعة، وعبر بألوانها وظلالها عن تجاربه خير تعبير، يقول فى أسره واصفا لحظة ماضية من لحظات المعركة:

وقد حطم الخطى واخترم العدى ∴ وفلل حد المشرفى المهند[1]

(١) ديوان أبى فراس ص٨٣ .

فتكرار الفعل المبنى للمجهول (حطم ، اخترم ، فلل) دليل على الوقوع، وعدم الاكتراث بالشهرة فى ذلك، والتأكيد بـ(قد)، وحسن التقسيم فى: حطم الخطى، اخترم العدى، فلل حد المشرفى ـ كل هذا دليل على حسن الصياغة ، والانسجام اللغوى والأسلوبى مع روح التجربة الشعرية .

ويكرر أبوفراس ألفاظا بعينها فى بعض أبياته؛ إلحاحا على دقة الموسيقى، وتعبيرا عن قوته وعزته أمام الأعداء، ـ حتى وهو فى الأسر ـ فلم يجد إلا الموسيقى الداخلية أداة لتجربته، فيقول مخاطبا الدمستق:

فويلك من للحرب إن لم تكن لها ∴ ومن ذا الذى يمسى ويضحى لها تربا
ومن ذا يلف الجيش من جنباته ∴ ومن ذا يقود الشم أو يصدم القلبا
وويلك من أردى أخاك بمرعش ∴ وحلل ضربا وجه والدك العضبا
وويلك من خلى ابن أختك موثقا ∴ وخلاله باللقان تبتدر الشعبا؟

فتكرار (وويلك)، وتكرار الاستفهام (ومن ذا) مع تغيير المستفهم عنه، والطباق (يمسى، يضحى)، وتكرار حرف الخاء (خلى، أختك، خلاك) فى البيت الأخير ـ كل هذا قوى روح التجربة. وعمل على انسجام الموسيقى .

وهكذا وفق الشاعران فى التعبير عن التجارب بتمكنهما من الموسيقى الشعرية ـ داخلية وخارجية ـ فأحدثا آثارا قوية فى نفوس المتلقين، وبقى شعرهما خالدا على مر الزمان ، واستطاع كل شاعر أن يوظف البحر والقافية توظيفا يتناسب مع شعوره ، ويعبر عن الموقف أبلغ تعبير .

نتائج البحث

أسفر البحث عن عدة نتائج يمكن أن نوجزها فيما يلى :

أولا : حضر الشاعران معظم المعارك التى وصفاها ، وكان أبو نواس قائدا لها ومع ذلك أجاد المتنبى فى وصفها عن أبى فراس ؛ لانشغال الثانى بالحرب ، والإجادة العملية فيها .

ثانيا : أنصف المتنبى قادة الروم بشىء من الوضوح ، وقصر أبوفراس فى هذا الجانب ؛ لانكساره بالأسر وعواقبه .

ثالثا : أوجع الشاعران قادة الروم هجاء وسخرية ، وقسا أبو فراس فى هذا الجانب بألفاظه المفحشة ، ومعانيه اللاذعة ، بينها ترفع المتنبى عن الفحش اللفظى مع إيلامه إياهم بالمعانى وبراعة التصوير .

رابعا: تمكن الشاعران من أدوات اللغة ، وتخير كلاهما ما يناسب معانيه التى يرمى إليها فى كل غرض قصده ، مع تكلف واضح فى بعض ألفاظ أبى فراس وأساليبه ـ خصوصا فى اصطياد بعض المحسنات ـ بينها نجا المتنبى من الوقوع فى هذا التكلف .

خامسا : عبر الشاعران عن مرادهما بأساليب قوية واضحة ، مع تخير موفق لأنواع الأساليب التى يحتاجها الموقف ، ويتطلبها الشعور .

سادسا : برع الشاعران فى استخدام الصورة ، ولونا فيها تلوينا بديعا. مع اختلاف مصادر الصورة وأجزائها لدى كل شاعر منهما ، فالمتنبى شاعر مشاهد ، وأبو فراس شاعر قائد حرب وأسير متروك .

سابعا: ساعد عنصر الموسيقى فى إبراز المعانى ، والتعبير عن المشاعر، باختيار البحور والقوافى ، مع الاتفاق فى كثير من بحور الشعر وحروف القوافى فى المواقف المتشابهة مع اختلاف يسير فى التفرد ببعض البحور والقوافى ؛ ولهذا دلالته فى التعبير عن الموقف الذى عرض للشاعر .

المصادر والمراجع

١ – القرآن الكريم.

٢ – البطولة فى الشعر العربى ، د/ شوقى ضيف ، دار المعارف بمصر ١٩٨٤م.

٣ – التصوير البيانى فى شعر المتنبى، د/ الوصيف هلال الوصيف – مكتبة وهبة – القاهرة – الطبعة الأولى ٢٠٠٦م.

٤ – خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبدالقادر بن عمر البغدادى، الجزء الثالث – مطبعة بولاق – مصر ١٢٩٩هـ.

٥ – ديوان أبى الطيب المتنبى،بشرح أبى البقاء العكبرى –ضبطه وصححه: مصطفى السقا وآخران – الطبعة الأخيرة ١٣٩١هـ = ١٩٧١م شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر.

٦ – ديوان أبى فراس –دار صادر بيروت – الطبعة الثانية ٢٠٠٥م.

٧ – سيف الدولة الحمدانى، د/ مصطفى الشكعة – مكتبة المتنبى – القاهرة – الطبعة الثانية ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م.

٨ – شرح ديوان المتنبى، وضعه: عبدالرحمن البرقوقى، الناشر: دار الكتاب العربى بيروت لبنان ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م.

٩ – الصبح المنبى عن حيثية المتنبى، للشيخ/ يوسف البديعى، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين –دار المعارف بمصر –الطبعة الثالثة ١٩٩٤م.

١٠ – الصورة الفنية فى شعر دعبل بن على الخزاعى،د/على إبراهيم أبوزيد – دار المعارف بمصر – الطبعة الثانية ١٩٨٣م.

١١ – المتنبى،محمود شاكر –مطبعة المدنى–القاهرة١٣٩٧هـ=١٩٧٧م.

١٢ – المتنبى، زكى المحاسنى – دار المعارف بمصر – الطبعة السادسة ٢٠٠٧م.

١٣ – المتنبى مالئ الدنيا وشاغل الناس، محمد التونجى – الطبعة الأولى ١٩٧٥م.

١٤ – مع المتنبى، طه حسين – دار المعارف بمصر – الطبعة الثالثة عشرة ١٩٨٦م.